منهاج البلغاء وسراج الأدباء

صنعة

أبي الحسن حازم القرطاجني

المتوفى بتونس في 24 رمضان 684

23 نوفمبر 1285

تقديم وتحقيق

محمد الحبيب ابن الخوجة



قبل قراءة هذا الكتاب لاتنس الصلاة على
الحبيب صلى الله عليه وسلم

ثم

اســـأل الله أن يغفر لأخيك
الفقير إلى رحمته



منهاج البلغاء وسراج الأدباء

صنعة

أبي الحسن حازم القرطاجني

المتوفى بتونس في 24 رمضان 684
23 نوفمبر 1285

تقديم وتحقيق

محمد الحبيب ابن الخوجة

الطبعة الثالثة



الطبعة الأولى تونس 1966
الطبعة الثانية بيروت 1981
الطبعة الثالثة بيروت 1986

دار الغرب الإسلامي
ص. ب: 5787 - 113
بيروت. لبنان

رسالة جامعية نال بها صاحبها بعد مناقشتها يوم 4 جوان 1964 درجة الدكتوراه مع تقدير مشرف جداً من جامعة باريس.

تقديم

العلامة الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور

هما أمنيتان ، من أمانيّ الغوالي التي عشت بها زمنا رغدا ، قد جاءتا معا تتحقّقان اليوم ، في هذا السفر القيّم الذي يسعدني أن أقدّمه إلى منتظريه ، وأتحف به أهله وذويه.

فلقد كانت أيام شبابي الأولى ، المتصرّمة بين أساطين جامع الزيتونة الأعظم ومكتبته العبدلية ، قد أشرقت بأمل عزيز ، كنت حريصا على أن أحقّقه بنفسي أو أن تحقّقه لي نفس أعزّ عليّ من نفسي : وهو إبراز كتاب **المناهج الأدبية** للأديب الفذّ الأندلسي التونسي أبي الحسن حازم القرطاجنّي .

كنت قد عرفت حازما ، وعلقت حبّه من عهد الصبا ، أيام كنت أحفظ مقصورته الخالدة ، وأتطارح مع مولاي الوالد ، أبقاه الله في العز والعافية ، أبياتا من عيونها ، ونحن في الجولات الربيعية ، حول « الحنايا ورأس الطابية » وبقايا البرك من جنات « أبي فهر » ، أو في بعض الجولات الأخرى الواسعة ، التي نستقبل فيها جبل زغوان الأشم ، إذا امتدّت الرحلة حتى انتهت إليه . ونمت مع الأيام تلك المطارحات والمفاكهات . فبدأ الوالد ، تولى الله عنّي جزاءه بالحسنى ، يذاكرني حازما وعلو منزلته وقصّة مقدمه على تونس وما إلى ذلك حتى عرفت من حديثه أن لحازم كتابا ذا شأن ،

كان الوالد ينوّه به ، وكان يزيد في تنويهه به أن يحدّث عن صديقه الحميم ، أستاذنا الأكبر ، الشيخ محمد الخضر حسين ، أنّه كان معجبا مولعا بهذا الكتاب ، وهو كتاب **المناهج الأدبية** الذي يوجد أصله المخطوط بالمكتبة العبدلية . فدخلت أنا جامع الزيتونة بهذا الحافز المحبّب ، الذي يدفعني إلى كتاب حازم ، ويقرّبه مني ، ويجرئني عليه كأنّه بعض عشرائي الأولين في البيت . فكنت في تردّدي على المكتبة العبدلية ، أتناول هذا المخطوط ، وأتصفّحه قدر طاقتي ، وأعود إليه مرّة أخرى . فربّما فهمت صوابا ، وربّما فهمت خطأ ، وربّما توقّفت دون الفهم حائرا . وكنت كلما أردت أن أرجع بموضوع من كتاب حازم إلى كتاب من كتب الأدب المشهورة : **المثل السائر** لابن الأثير ، أو **نقد الشعر** لقدامة ، أو **العمدة** لابن رشيق . أدركت اختلافا بيّنا بين ما لحازم في تناول الموضوع وعرضه ، وتأصيله وتفصيله ، وما لغيره من رجال النقد الآخرين ، ممّن سبقه أو من لحقه . فازددت يقينا بأن لكتاب حازم ميزة تجعله نسيج وحده . فكانت أمنية نشره ومقارنته ، وبيان خصائصه ، وضبط مصادره ومراجعه ، تقوى في نفسي يوما فيوما .

وجاءت الشواغل والكلف ، تحول بيني وبين الكتاب ، والتقادير في شأن ما افترقت به **مناهج** حازم عن المناهج المسلوكة من قبله ومن بعده تبيض وتفرّخ ، وتستقرّ وتتردّد . فربما أرجعتها للطوابع الاقليمية للأدب المغربي ، وربما انصرفت بها إلى صلة البلاغة بالحكمة عند ارسطوطاليس وابن سينا وابن رشد وأنا في كلّ ذلك أحلم بدرس شاف ، وبيان مفصّل لتلك التقادير المرتجلة ، وتلك الفروض المجملة . وكلما زادت الأيام بعدا بيني وبين الكتاب ازدادت تلك الأمنية من نفسي قربا ، وفيها تمكّنا . فلم أزل أستحثّ الواحد بعد الآخر من أبنائي وإخواني ، لينتدب إلى تحقيقها .

حتى إذا مخض الله السنين لها   مخض الحليبة كانت زبدة الحقب

وذلك حين منّ الله عليّ بهذه البنوّة الروحية ، غير ذات النظير ، في الولد المختصّ الأثير « حبيب الرحمان » كما يعرفه الأصحاب وترتضيه وشائج الآداب ؛ أو الأستاذ الجليل الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة ، كما تقتضيه الرسوم ، ويعرفه الأباعد من أهل الآداب والعلوم . فكانت أمنيتي الغالية سارية في نفسه الكريمة مسرى غيرها

من نفحات نفسي ومدارك عقلي وحسّي. فإذا به يصل ما كان انقطع بيني وبين حازم من عهد ، وكفى الولد برّاً أن يصل أهل ودّ أبيه . وإذا هو يكشف عن كنه الكتاب ، ويضعه بإحكام ، في منزلته من كتب النقد ، ويزيح الأستار عن الخصائص ومناشئها ، والمذاهب وعواملها ، ويبرز للناس كتاب حازم القرطاجنّي لونا بديعا من ألوان الدراسات المنهجية السامية في نقد الشعر . فيحقّق بذلك لي الأمنية الأولى من أمنيتيّ الغاليتين .

أمّا الأمنية الأخرى فهي تتمثّل في أن أرى دراساتنا العلمية السائرة على الطرائق الأصيلة للثقافة الإسلامية العربية ، تتّصل بالطرائق الحديثة التي تسير عليها الجامعات الجليلة في اروبا ، فتعرف هذه لتلك منزلتها ، وتفيد تلك من هذه وضعيتها ومنهجيتها . وأنا موقن بأنّ هذا الالتقاء لن يعود على ثقافتنا إلاّ بكلّ خير : زكاء عنصر وبعد صيت .

فلمّا سمت بابني « الحبيب » همّته القعساء إلى اقتحام هذا الملتقى العجيب ، واتّجه إلى جامعة باريس ، فأكرمت مثواه ومثوى درجته الجامعية الزيتونية ، واحتضن عبقريته أحد أيمّة الاستشراق وأساطين البحث العلمي في فنون الثقافة الإسلامية ، وهو صديقنا العلاّمة الأستاذ ريجيس بلاشار ، وكان بينهما ذلك الاتّصال الشريف الذي أغبطهما عليه ، وانكبّ الأستاذ الكبير على عمل تلميذه النابغ ، طيلة عامين يعالجان مواضيع البحث ، ويقوّمان طرائقه ، خرج بهذا الإشراف الزكي كتاب حازم في حلّة سيراء : زيتونية باريسية : تحقيقا ، وتعليقا ، ودراسة ، ومعجماً ، وفهارس .

ثم كان ذلك اليوم ، من أواخر الربيع الضاحك ، وأنا في السهول الفيحاء لأروبا الوسطى ، إذ جاءتني برقية عزيزة : تنبىء بأنّ كليّة الآداب في جامعة باريس قد منحت الابن الحبيب ، بعد مناقشة عمله العلمي في كتاب حازم ، درجة دكترة الآداب بملاحظة « الامتياز الفائق » فتكلّلت بذلك جهوده الحميدة ، وزكى طموحه العجيب ، وقررت أنا عينا بهذا الفوز الباهر ، وقد جمع لي في قرن ، تحقيق أمنيتيّ الغاليتين .

فها هو كتاب حازم القرطاجنّي يطلع على الناس اليوم ، بلون غريب من ألوان الدراسة الأدبية ، يحتار كلّ متتبّع له في الفنّ الذي يلحقه به ، والكتب التي يصنّفه إليها ، ويقارنه بها .

فاذا كان من الواضح أنّ هذا الكتاب في الأدب ، فانّ الماهر في خدمة الأدب ، الحاذق في تفصيل أصنافه وأبوابه ، يدرك أنّ من الأوضاع الأدبية ما يرجع إلى البلاغة المطلقة ، ومنها ما يرجع إلى فن الإنشاء ، أو صناعة الخطابة ، أو نقد الشعر ؛ أو يرجع إلى علم العروض أو فن البديع . كما أنّ كلّ ناحية من هذه النواحي تندرج تحتها صور من المعارف والأنظار ، وأساليب من الجمع والتآليف ، ومناهج من التحرير والتقرير ، تجعل كلّ طائفة من التآليف الراجعة إلى تلك الناحية من نواحي الأدب متميّزة بخصائص ومفارقات ، يحقّ باعتبارها لكلّ طائفة من التآليف أن تعتبر بابا غير باب الطائفة الأخرى ، أو قبيلا لا يمت بنسب الى قبيلها .

فاذا استطعنا أن نصنّف كتابي الشيخ عبد القاهر : **أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز** ، مع القسم الثالث من **المفتاح** للسكّاكي ، ومع كتاب **البديع** لابن المعتز ، فسمّيناها كلّها « بلاغة » وأن نضع كتاب **البيان والتبيين** للجاحظ ، مع كتاب **المثل السائر** لابن الأثير ، ثم مع كتاب **صبح الأعشى** للقلقشندي ، فسمّيناها كلّها « إنشاء » كما هو المصطلح عليه عند مصنّفي العلوم ومرتّبي الكتب ، ثم استطعنا أن نضع كتاب **نقد الشعر** لقدامة ، مع كتاب **العمدة** لابن رشيق ، **ورسائل الانتقاد** لابن شرف ، وكتاب **الموازنة** بين أبي تمام والبحتري للآمدي فسمّيناها « نقد الشعر » فانّنا نكون مجازفين مستهترين إذا نحن لم نقف ، بعد هذا التصنيف الصحيح ، وقفة نصنّف بها تلك المصنّفات ، داخل كلّ عنوان من العناوين الجامعة ، تصنيفا آخر ، يكون تحليليّا ، حين نرجع إلى النظر في المبادىء والغايات ، والمناهج والاستمدادات ، وأساليب العرض ، وقواعد التطبيق ، فندرك حينئذ ، ما بين كتاب السكاكي وكتاب ابن المعتز من فوارق ، وإن تناول أحدهما من مسائل البديع ما تناوله الآخر ، حتى نجد أنفسنا ، في النهاية مضطرّين إلى أن نصنّف كتب البلاغة أصنافا تفصيلية جزئية : بين بلاغة الإعجاز القرآني ، وبلاغة الطبع الأدبي أو بين بلاغة علمية وبلاغة ذوقية . وكذلك نجد أنفسنا في كتب الإنشاء بين منهج نظري ابتكاري ، كالذي في **المثل السائر** ، ومنهج تطبيقي التزامي ، كالذي في **صبح الأعشى** ، كما نجد أنفسنا ، في كتب نقد الشعر ، بين نقد توجيه وتأصيل ، كالذي في كتاب ابن رشيق ، ونقد مقارنة كالذي في كتاب **الموازنة** .

وعلى هذا النحو نرجع إلى حازم ومناهجه ، فنجده يصرّح تصريحا مردّدا في أثناء كتابه بأنه إنّما يتكلّم في « البلاغة » ويبحث عمّا تتحقّق به وتتفاضل فيه . فلا يبقى لنا

بعد ذلك محل للتردّد في أنّ كتابه — كيفما كانت تسميته — هو كتاب في البلاغة كما وصفه بذلك أيمة الصناعة الذين ذكروه ، مثل الصفدي في **الوافي بالوفيات** . وسرعان ما يتّجه الذهن عند ذكر « البلاغة » إلى تلك السلسلة التي امتدّت من الشيخ عبد القاهر ، فانتظم فيها أيمة علم البلاغة وفحوله : الزمخشري ، والرازي ، والسكاكي ، والقزويني ، والسبكي ، والسعد ، والسيد ، ومن بعد هذين من رجال التلخيص والمطوّل والمختصر . فتثور في ذاكرته مباحث التشبيه والاستعارة ، والتمثيل والكناية ، والتقديم والتأخير ، والحذف والإثبات ، والتعريف والتنكير ، وأدوات القصر ، والجملة الإسمية والفعلية ؛ وأحوال القيود والمتعلّقات إلى غير ذلك من المسائل الجزئية المعروفة من علم البلاغة ، ثم يردّها إلى معاقدها الكلية من مباحث الفصاحة وقوادحها ، والبلاغة ودرجاتها ، وحدّ الإعجاز ووجوهه ، حتى يعود الذهن إلى حازم ، متطلّعا إلى تلك المسائل باحثا عن مواقعها من كتابه ، وهو يتوقّع أن قد يكون عرضه إياها على صورة تختلف عن صور عرضها في كتب البلاغة المشتهرة ، وأن قد يكون لحازم في تحقيق بعضها رأي يختلف عمّا في **دلائل الإعجاز** أو **الكشّاف** ، أو **المفتاح** . ولكنّ الفجاءة تكون غريبة عنيفة عندما يأخذ في مجاراة حازم في مناهجه ومآمّه ، مستبصرا بإضاءاته وتنويراته ، حتى يجد نفسه على موقف من المعارف ، ومسلك من الأنظار ، لا يكاد يتّحد مع المواقف والمسالك التي عرفت في كتب عبد القاهر ، وحزبه .

هنالك يقف الذهن خاسئا محتارا ، أيّ فن من البلاغة هذا ؟ وهل الذي بين أيدينا من الكتاب يقع منه في الصميم ؟ وإذا كان حازم قد ترك ما تناوله الآخرون ، وترك الآخرون ما تناوله هو ، فما الذي حدا به وبهم إلى ما أخذ كلّ وما ترك ؟ ونرجع حينئذ ، إلى تقدير المفقود من الكتاب ، فنقدر أنّ من شأنه أن يكون مشتملا على أصول عامة في صناعة البيان ، وموقعها ، وفنونها ، والشعر ، وبواعثه ، وخصائصه ؛ والنظر في الألفاظ ، وهيآتها ، ودلالاتها ، ونسبتها إلى المعاني ، وإلى أيّهما يرجع الحسن البلاغي . فيرجّح عندنا أنّ حازما إنّما أخلى كتابه ممّا أقام عليه أيمة البلاغة الآخرون كتبهم . ونزيد مضيّا في مطالعة الكتاب وتقليبه ، فتطالعنا هذه الجملة ذات الوزن : « ينبغي لمن طمحت همّته إلى مرقاة البلاغة المعضودة بالأصول المنطقية والحكمية ، ولم تسفف به إلى حضيض صناعات اللّسان الجزئية المبنية أكثر آرائها على شفا جرف هار أن لا يعتقد الخ... » ونقف على الجملة الأخرى التي هي أرجح وزنا في غرضنا :

« قد سلكت في التكلّم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه ، وتوعّر سبيل الوصول إليه . هذا على أنّه روح الصنعة ، وعمدة البلاغة..... فإنّي رأيت الناس لم يتكلّموا إلاّ في بعض ظواهر ما اشتملت عليه ، فتجاوزت أنا تلك الظواهر ، بعد التكلّم في جمل مقنعة ممّا تعلق بها ، إلى التكلّم في كثير من خفايا هذه الصنعة ودقائقها » ونقف في النهاية ، عند قوله ، في الفصل الذي انتهت أثناءه النسخة ، ويقدّر برجحان أنّه آخر الكتاب : « معرف دال على طرق المعرفة بمبلغ هذا الكتاب من أصول هذه الصناعة » فإذا به ينبّهنا إلى أنّ كتابه ليس متّجها إلى « صناعات اللسان الجزئية » وإنّما هو قاصد إلى « بلاغة تعضدها الأصول المنطقية والحكمية » فنتبيّن من ذلك جليا أنّ لكتاب حازم من علم البلاغة ناحية خاصة يحتلّها من بين الكتب المشهورة ، يمكن أن نتزلها من العلم منزلة الأصول من الفروع ، أو منزلة فلسفة العلم من العلم ، كمنزلة **رسالة** الإمام الشافعي من علم الفقه ، أو منزلة **مقدّمة** ابن خلدون من علم التاريخ .

فيكون موضوع النظر ، بين حازم وعلماء البلاغة ، متّحدا وهو البيان ، باعتبار صفة الحسن التي تروع منه ، ويقبل بها . إلاّ أنّ بعض الناس تناول تلك الصفة فأخذ يضبط مظاهرها ويستقصي جزئياتها ؛ والبعض — وليس غير حازم — أخذ ينظر في أسبابها ، ومآتيها ، وبواعثها ، ويردّها إلى علم النفس ، وعلم المنطق ، فيقول « قصدنا أن نتخطّى ظواهر هذه الصناعة ، وما فرغ الناس منه ، إلى ما وراء ذلك ممّا لم يفرغوا منه » وبهذا يكون لكتاب حازم صنف خاص به داخل تصنيف كتب البلاغة ، ليس هو صنف **دلائل الإعجاز** ، كما أنّه ليس صنف كتاب **العمدة** لابن رشيق ، ويحقّ أن يسمّى « أصول البلاغة » أو « فلسفة البلاغة » أو « روح الصناعة » كما اختار هو ذلك بنفسه ، لأن الناحية التطبيقية العملية ، التي يراد بها تكوين ملكة البلاغة ، أو التي يراد بها تكوين ملكة المقارنة النقدية لمعرفة إعجاز القرآن ، ناحية ليست مقصودة لحازم ، بل إنّ مقصوده أن يتخطّاها . فإذا كان أهل البلاغة يريدون أن يعرّفوا البلاغة ما هي في ذاتها ، وما هي الأسباب المحصّلة لها ؟ فإنّ حازما يريد أن يعرف لمَ كانت كذلك ؟ ولم كانت تلك الأسباب محصّلة لها ؟ فلزم أن يتّجه الجمهور إلى العلوم اللّسانية يفحصون الأساليب ، والاعتبارات ، والنكت ، والخصائص ، ويرجعون إلى تحليل التراكيب ومقارنة الاستعمالات ، مُستعينين بنقود ابن العميد والصاحب ابن عباد،

وتعاليق أبي العلاء المعرى والإمام المرزوقي ، ومستندين إلى ضوابط سيبويه وابن جني وأبي علي الفارسي ؛ وأن يتّجه حازم إلى العلوم الحكمية : يبحث عن مواقع البلاغة من طبيعة الإنسان ، وعن الفرق بين الخطابة والشعر ، وما يرجع إلى ذلك من ملائمة النفوس ومنافرتها ، ويرجع المعاني إلى متصوّرات أصيلة ، ومتصوّرات دخيلة ، ويتطلّع إلى استخلاص ما هية البلاغة المصطلح عليها في عصر من العصور ، وعند قوم من الأقوام ، من ماهية البلاغة المطلقة ، معتمدا في ذلك على ارسطاطاليس ، ومقتديا بأبي عليّ ابن سينا ، في ما أدخله أبو عليّ على ذلك من آثار اجتهاده ، وولائد ابتداعه ، ليجعل موضوع نظره وبحثه ، وتحصيله وتأصيله ، البلاغة العربية ، خاصة ، لما يوجد في شعر العرب « من اختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى »

وهكذا ينفرد حازم عن قافلة علماء البلاغة ، جانحا إلى طريق من النظر الحكمي في موضوعهم . ينتهي به إلى موقف تأصيل : يخرج به « ما وراء البلاغة » من البلاغة ، كما يخرج « ما وراء الطبيعة » من الطبيعة ، بدون أن يأوى إلى قافلة الحكماء ، إذ لا يريد أن يبقي النظريات معلّقة غير مطبّقة ، ولا أن يتركها مجرّدة مشاعة بين اللغة العربية واللغات الأخرى .

فإذا كان هذا موقع كتاب حازم من كتب البلاغة المعتمدة : ليس منها ، ولكنّه لا يغنى عنها ، ولا يخالفها ، فما الذى زهّد الناس ، يا ترى ، في هذا الوضع الغريب حتى خمل ذكره ، وخفي أمره ، وتلاشت نسخه ؟ فلم يصل إلى أيدينا ، اليوم ، إلاّ مبتورا ، منقوصا ، في هذه النسخة التي لا ثاني لها .

لا شك أنّ هذا كان مصير أسفار قيّمة ، من قبل كتاب حازم ، ومن بعده ، لم تنل من التقدير ، في عصرها والقرون التي تلته ، ما نالت في عصرنا الحاضر لمّا برزت من بين نوادر المخطوطات .

وهذا إنّما يرجع إلى أمر من التناسب الوضعي ، كان رابطا بين الفنون والكتب ، في وحدة الثقافة الإسلامية : هو الذى بمقتضاه اتّخذ كلّ فن من الفنون : الشرعية ، والأدبية ، والحكمية ، زيادة على كيانه الذاتي ، قواما تناسبيا في ما يصل عامّة الفنون بعضها ببعض ، في الغايات العملية ، الراجعة إلى عمود الثقافة الإسلامية : وهو المعرفة العالمية الكلية . فإنّ كلّ علم من العلوم قد اكتسب من استناده إلى العلوم الأخرى ،

من فصيلته ومن غير فصيلته ، ما جعله ، في غاياته واستمداداته ، مرتبطا بوضع عام تتصرّف بمقتضاه العلوم تصرّفا تناسبيا توالديا ، لا يتمكن بعده لعلم منها أن ينفصل عن وحدة الحركة التصرّفية ، حتى يضرب عليه بذلك حاجز يحجزه عن أن يمتدّ بعيدا ، إلى ناحية يحتلّ بامتداده إليها وضعه من سائر العلوم المنتظمة معه في الوحدة الكبرى . فيكونُ ذلك قاضيا على محاولات كثيرة تتّجه إلى أن تدخل على علم من العلوم توجيهات، وأنظارا ، تعتمد في استنباطها على صميم العلم بذاته ، ولا تلوي على نواحي الترابط التي بينه وبين غيره ، فتأتي الحركة الكبرى ، في مدارها الأوسع ، نافية لتلك العناصر الجديدة ، التي لم تتّخذ لنفسها ما يصلها بمدار الحركة ، ويزلفها إليه . فبذلك تبقى خارج المدار ، منفردة ، تسبح ، حول نفسها سبحا طويلا ، لا تزال تبتعد به عن الاتّصال بما تهفو إلى الاتّصال به ، حتى تتضاءل ، وتختفي ، ثم تهوي ، في كلالة ، إلى الأفق المظلم ، الذي يزخر بأوضاع فكرية كثيرة ، لم تستطع الثبات حول المدار الأوسع ، في الأفق الأعلى .

كذلك كان شأن حازم مع علماء البلاغة ، في كتابه وكتبهم ، ظهر وقد اكتمل علم البلاغة واشتد ، وارتبط بالنحو وبالنقد ، ثم تعلّق ، تعلّقه الأسمى ، بإعجاز القرآن ، فجاء حازم يستجلي روحه ، ويستخرج أصوله ، ويتجاوز منه ظواهره التي وقف الناس عندها ، لكنّه لم يصل يده بيد السابقين من أصحابه ، ولم يشدّ موقفه بموقفهم في صفّ مرصوص . فجاء الكتاب يقف من علم البلاغة موقف المهيمن المتعالي ، حتى ظهرت الجفوة ، وبدت النبوة ، واستمرّ هو في واد وعلم البلاغة في واد : فلا هو صحّ له ما يريد من تأصيل نظرياته العليا ، لأنّ مادّة استنباطها قد بقيت مفصولة عنها ، ولا علم البلاغة استفاد من تلك النظريات زهرة وتجدّدا ، لأنّها بقيت بعيدة عنه.

فلا تستطيع إليه الصعود ولا يستطيع إليها النزولا

فلذلك يحقّ لنا اليوم ، وقد برز الكتاب ، ودرس هذا الدرس المتقن ، الذي قام به ابننا الشيخ الحبيب ، أن نتطلّع إلى درس وراء هذا الدرس ، يتتبّع علم البلاغة في موقعه من كتبه المتداولة ، فيصبّ عليه من الأنظار التأصيلية ،التي ابتكرها حازم ، ما يحييه ويلقحه ، ويهزّ أرضه ويربيها ، ويخرج علم البلاغة ، بعد دراسة عميقة مزدوجة ، وقد امتدّ له جسر على الهوة التي كانت بينه وبين كتاب حازم ، فاتصل تحصيله بتأصيله ، وارتبطت جمله بتفاصيله .

كلمة

منذ زمن ليس بالقصير عكفت على دراسة النقد ومناهجه في الآداب العربية وغيرها. وقد حملني على ذلك ولوعي بفن القول ، أتتبّعه في كلّ ظواهره ، وأبحثه في جميع أشكاله وصوره . وأسعفني الحظ سنة 1956 بتدريس أدب حازم القرطاجنّي ومذهبه النقدي الذي احتواه كتاب **المناهج الأدبية** لطلبة كلّية أدب اللغة العربية التابعة يومئذ للجامعة الزيتونية .

وقد كان كتاب **المناهج** هذا جزءا من مجموع مخطوط بالعبدلية ، أوقفني عليه وحثّني على تحقيقه ودرسه شيخي مقام والدي سيدي محمد الفاضل ابن عاشور ، مفتي الجمهورية وعميد الكلّية الزيتونيّة ، شكر الله يده ، وأقدرني على الوفاء بما له عليّ من حقّ وفضل .

وما أن أقبلت على أقسام كتاب حازم وأبوابه ، مقاصده وفصوله ، أنظر فيها وأتأمّلها وأحصر ما بها من خصائص يفارق بها هذا الكتاب غيره من كتب النقد المعروفة المتداولة ، حتّى تعلّقت الهمّة بإعداده للنشر إعدادا علميّا ، مشاركة منّي في إحياء التراث العربي القومي التونسي ، وتطلّعا إلى إماطة اللثام عن بعض الحقائق التي لا تزال إلى اليوم خفيّة في فلسفة النقد والنظر التحليلي لفنّ الشعر عند العرب .

وتوّا تقدّمتُ بطلب إلى جامعة باريس ، مسجّلا بذلك موضوع أطروحتي .

وهناك في العاصمة الفرنسية بالسربون بمدرسة البحوث العليا ، وبمعهد الدراسات الاسلامية ، وبمنزل العلامة ريجيس بلاشار ، مكثت عامين كاملين لا أنقطع عن العمل والدرس بأحد هذه المراكز الثلاثة إلاّ لقضاء ساعات بمكتبة اللغات الشرقيّة أو المكتبة الوطنية ، أراجعُ بها بعض الكتب القيّمة المخطوطة ونحوها من أمّهات مصادر البحث.

ولقد لقيت من العلامة المستشرق الكبير أستاذي ريجيس بلاشار ما لا أقدر على وصفه من ألوان العناية والاختصاص ، فكان بالرغم من تدهور صحته سنة 63 — 64 حريصا على مراقبة عملي وحسن توجيهي . فأفادني ذلك خبرةً واسعة وأورثتني ملازمتُه دقّةً وتثبّتا في البحث ، وانتظاما ومثابرة في العمل .

فأنا أشكر له بين يدي هذه الرسالة التي أقدّمُها إيثاره لي ، وعنايتَه بي . كما أتوجّهُ بخالص شكري وعظيم امتناني الى كافة شيوخي وأساتذتي الذين أمدّوني بألوان إعاناتهم وبذلوا لي النصيحة ، راجيا من الله أن يوفّقني ويسدّدَ خُطاي فيما أستقبله من عمل علمي ، وأقدم عليه من بحث ودرس ، إنّه سميع مجيب .

تونس في نوفمبر 1966

رموز وإشارات

اسفله = بعد .
اعلاه = قبل .
تع . = تعليق
ج . = جمع .
س . = سطر . وربما وضعنا (:) بدل الحرف ، وذلك كما في المعجم والفهارس.
ف . متبعة بحرف = معلم او معرف او مأم . وهي بمعنى فصل .
ف . متبعة برقم = اضاءة او تنوير . وهي بمعنى فقرة .
ق . = قسم .
ق . متبعة باسم كتاب او مؤلف = قابل .
م . = ملحق .
م . متبعة برقم = منهج .
متد . = متداول ، كثير الورود .
مثله = نفس المكان .
مج . = مجموع .
مخط . = مخطوط .
مق . = مقابل ، ضد .
و . = واحده ، مفرده .
و... أ = ورقة ، وجه .
و... ب = — ، ظهر .

التواريخ

يسبق في كل تاريخ الرقم المشير للسنة الهجرية ، ثم يذكر مقابله للسنة المسيحية . ويفصل بينهما بخط صغير مائل .

الارقام

كل الارقام عربيّة ، الا الموضوعة للتعريف بالقسم او بالجزء فهي غبارية .

ثبت المصادر والمراجع

ابن الأبار . **التكملة لكتاب الصلة** . (2) القاهرة ، 1956/1375 ؛ مجلدان .

ابن الأثير . **المثل السائر** . نشر محيي الدين عبد الحميد ؛ القاهرة . 1939/1358 ؛ 3 مجلدات .

أرسطو . **فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد؛**
(1) ترجمة وشرح عبد الرحمان بدوي ؛ القاهرة ؛ 1953 ؛ مجلد واحد .
(2) ترجمة ونشر وتحقيق هواردي ؛ باريس ؛ 1952 ؛ مجلد واحد .

الاصفهاني (أبو الفرج) . **الاغاني** . (3) ، القاهرة ، 1923 وما بعدها ؛ 17 جزءا .

ابن أبي اصيبعة . **عيون الانباء في طبقات الاطباء** . القاهرة ، 1882/1299 ؛ مجلدان

الاعشى . (2) نشر قيار ؛ لندن ، 1928 ؛ مجلد واحد .
(3) نشر محمد حسين ؛ القاهرة ؛ مجلد واحد .

الاعلم = الأعلم الشنتمري . **شرح ديوان طرفه** . نشر وترجمة سلكسون ؛ باريس ، 1901 ؛ مجلد واحد .

* اثبتت بهذه القائمة الكتب الاعجمية التي احلنا عليها معربة اسماؤها . وتسهيلا للمراجعة نذكر بعد ذلك قائمتها الاصلية الخاصة بها .

الاعلم = الأعلم الشنتمري . **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى** . القاهرة ؛ مجلد واحد .

الاغـاني . راجـع الاصفهاني .

الى طه حسين . انظـر بـدوي .

الامير . **حاشية على المغني** . القاهرة ، 1317 ؛ مجلدان .

ابن الانباري . **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** . نشر إبراهيم السامرائي ؛ بغداد ، 1959 ؛ مجلد واحد .

البحتري . **الديوان** . نشر المطبعة الأدبية ؛ بيروت ؛ مجلدان .

— . **الحماسة** . نشر كمال مصطفى ؛ القاهرة ، 1929 ؛ مجلد واحد .

بدوي (عبد الرحمان) . **حازم القرطاجني ونظرية ارسطو في البلاغة والشعر** ، مع نشر المنهج الثالث من القسم الثاني من المنهاج في : **الى طه حسين** ، 85 — 146 .

بـدوي (عبده) ميلاد بحر جديد في الشعر العربي مجلة الدوحة رمضان 1396/ايلـول 1976 .

البرقوقي . **شرح ديوان المتنبي** . (1) القاهرة ، 1930/1348 ؛ مجلدان .
(2) القاهرة ، 1938/1357 ؛ 4 مجلدات .

برنشفيق (روبـارت) . **شرقي بلاد البربر في العهد الحفصي** . باريس ، 1940 — 1947 ؛ مجلدان .

بروكـلمان (كـارل) . **تاريـخ الادب العربـي** ؛ ويمار — بـرلين ، 1898 — 1902 ؛
— مجلدان . م = **ملحقات** . ليدن ، 1937 وما بعدها ؛ 3 مجلدات .

بلاشار (ريجيس) . **تاريـخ الادب العربي من الجاهلية الى نهاية القرن الخامس عشر م** . باريس ، 1952 ؛ مجلدان .

— **فصل عن عروض الشعر العربـي حسب ما دلت عليه المنشورات الحديثة** . مجلة أربيـكا ، ج 7 ، سبتمبر 1960 ، 225 — 236 .

بيريس (هنري) . **فحول العرب في علم الادب** (شرح ديـوان كثير) . الجـزائر — باريس ، 1928 ؛ مجلـد واحـد .

التبريزي . **شرح ديوان أبي تمام** . نشر ذخائر العرب ؛ القاهرة ؛ 3 مجلدات .

التجـاني . **الرحلـة** . نشر حسن حسني عبـد الوهـاب ؛ تـونس ، 1958/1377 ؛
مجلـد واحـد .

ترّاس (هنري) . **تاريـخ المغرب الاقصى منذ العصور القديمة الى انتصاب الحماية الفرنسية** .
الدار البيضاء ، 1949 — 1950 ؛ مجلدان .

التفتزاني . **شرح مختصر المعاني** . دلهـي ، 1955 ؛ مجلد واحد .

ابو تمام . انظـر التبريزي .

— . انظـر المـرزوقي .

— . **الديوان** . (1) نشر محمد سعيد ؛ مجلد واحد .

— — (2) نشر جمال ؛ مجلد واحد .

التهامي (ابو الحسن) . **الديوان** ، الاسكندرية ، 1892 ؛ مجلد واحد .

الثعالبـي . **يتيمة الدهر** . (1) دمشق ، 1303 ؛ 4 مجلدات .

— — (2) القـاهرة ؛ 4 مجلـدات .

الجاحظ **البيان والتبيين** . نشر السندوبـي ؛ القاهرة ، 1927/1345 ؛ 3 مجلدات .

— . **الحيوان** . نشر عبد السلام هارون ؛ القاهرة ، 1357 وما بعدها ؛ 7 مجلدات .

جـــريـر . **الديوان** . نشر الصاوي ؛ القاهرة ؛ مجلد واحد .

الجمحـي . **طبقات فحول الشعراء** . تحقيق محمـو د محمد شاكـر نشر ذخائر العرب ؛
القاهرة ؛ مجلد واحد .

ابن الجهم (علي) . **الديوان** . نشر خليل مردم ؛ دمشق ؛ مجلد واحد .

جوليان (شارل انـدري) . **تاريـخ شمال افريقيـا من الفتـح العربـي الى سنة 1880** .
باريس ، 1952 ؛ مجلد واحد .

حازم القرطاجنـي . راجـع **الديـوان** .

— . **كتاب القوافي** . مخط . عدد 2804 ، جامع الزيتونة ، تونس .

حسان بن ثابت . **الديوان** . تونس ، 1281 ؛ مجلد واحد .

الحطيئة . **الديوان** . بيروت ، 1951 ؛ مجلد واحد .

الحموي (ابن حجة) . **خزانة الادب** . القاهرة ، 1291 ؛ مجلد واحد .

الحميري . **جذوة المقتبس** . القاهرة ؛ مجلد واحد .

ابن أبي خازم (بشر) . **الديوان** . دمشق ، 1960 ؛ مجلد واحد .

الخزرجي (علي) . **الخزرجية** ؛ ترجمة ونشر روني باسي ؛ الجزائر ، 1902 ؛ مجلد واحد .

ابن الخطيب (لسان الدين) . **الإحاطة** . نشر عنان ؛ القاهرة ؛ مجلد واحد .

ابن خفاجة . **الديوان** . بيروت ، 1951 ؛ مجلد واحد .

الخفاجي (ابن سنان) . **سرّ الفصاحة** . نشر علي فودة ؛ القاهرة ، 1932/1350 ؛ مجلد واحد .

خليفة (حاجي) . **كشف الظنون** . القاهرة ، 1274 ؛ مجلدان .

الخنساء . **الديوان** . بيروت ، 1951 ؛ مجلد واحد .

دائرة المعارف الاسلامية = د. م. إ. (1) ليدن — باريس ، 1908 — 1934 ، 1934 — 1938 ؛ 4 مجلدات وملحق .

— = — . (2) ليدن — باريس ، بدأ الصدور من 1954 .

ابن دراج . **الديوان** . نشر محمد علي المكي . دمشق ، 1961/1381 ؛ مجلد واحد.

الدماميني . **الحواشي الهندية** (حاشية على المغني لابن هشام) ؛ صدر مجلد واحد .

— الدماميني . شرح الخزرجية : **كتاب العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة** . القاهرة ؛ مجلد واحد .

ديرانبورغ (هنري) . المخطوطات العربية للاسكوريال ؛ 3 مجلدات .

الديوان : شعر حازم القرطاجني . نشر الكعاك ؛ بيروت ، 1964 ؛ مجلد واحد .

الديوان : قصائد ومقطعات . نشر ابن الخوجة محمد الحبيب . تونس 1972.

ابن رشد . انظر ارسطو (1) .

ابن رشيد . **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة** مخط . 1680 ، 1735 ، 1736 ، 1737 . الاسكوريال .

ابن رشيق . **العمدة** . القاهرة ، 1925/1344 ؛ مجلدان .

الرعيني . **برنامج** . نشر ابراهيم شبوح ؛ دمشق ، 1962/1381 ؛ مجلد واحد .

ابن الرومي . **الديوان** (1) نشر كامل كيلاني ؛ مجلد واحد .

— . — (2) نشر محمد شريف سليم ؛ القاهرة . 3 مجلدات .

الزبيدي (ابو بكر محمد بن الحسن) . **طبقات النحويين** ، نشر ابي الفضل ابراهيم ؛ القاهرة ، 1954/1373 ؛ مجلد واحد .

الزبيدي (المرتضى) . **تاج العروس** = التاج . القاهرة ، 1306 ؛ 10 مجلدات .

الزجاجي . **مجالس العلماء** . نشر عبد السلام هارون ؛ الكويت ، 1962 ؛ مجلد واحد .

الزركشي (بدر الدين) . **البرهان في علوم القرآن** . القاهرة ؛ 4 مجلدات .

الزركشي (محمد) . **تاريخ الدولتين** . تونس ، 1259 ؛ مجلد واحد .

الزركلي . **الاعلام** . القاهرة ؛ 10 مجلدات .

زهير بن أبي سلمى . انظر الأعلم .

الزوزني . **شرح المعلقات السبع** . القاهرة ، 1950 ؛ مجلد واحد .

زيدان (جرجي) . **تاريخ أدب اللغة العربية** . القاهرة ، 1924 وما بعدها ؛ 4 أجزاء في مجلدين .

السبكي (بهاء الدين) . **عروس الأفراح** . انظر القزويني .

السبكي (تاج الدين) . **طبقات الشافعية** . القاهرة ، 1324 ؛ 6 مجلدات .

السراج . **الحلل السندسية في الأخبار التونسية** . تونس ، 1287 ؛ مجلد واحد .

ابن سعيد . **اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى** . نشر ابراهيم الابياري ؛ القاهرة ، 1959 ؛ مجلد واحد .

ابن السكيت . **شرح ديوان عروة بن الورد** . الجزائر ، 1926 ؛ مجلد واحد .

ابن سلام . انظر الجمحي .

سلامة (ابراهيم) . **بلاغة أرسطو بين العرب واليونان** . القاهرة ؛ مجلد واحد .

السندوبي . **شرح ديوان امرىء القيس** . (2) القاهرة ؛ 1939/1358 .

— — (3) القاهرة ؛ مجلد واحد .

سوتر (هـ) . فصل عن **ابن الهيثم** في **د. م. أ.**

سيبويـه . **الكتاب** . بولاق ، القاهرة ؛ مجلـد واحد .

السيد (الجرجاني) . **التعريفات** . القاهرة ، 1283 ؛ مجلد واحد .

ابن سينا . **الشفاء** . مخط . عدد 6829 المكتبة الوطنية بباريس .

— . **النجاة** . القاهرة ، 1913/1331 ؛ مجلد واحد .

— . راجـع أرسطـو (1) .

السيوطـي . **بغية الوعاة في طبقات النحاة** . القاهرة ، 1326 ؛ مجلد واحد .

— . **المزهر** . (2) القاهرة . مجلدان .

— . **الاتقان في علوم القرآن** ؛ القاهرة ، 1278 ؛ مجلدان .

— . **الاقتراح** . مخط . جامع الزيتونة ، تونس .

الشريف الرضي . **الديوان** . بيروت ؛ مجلدان .

الشماخ بن الضرار . **الديوان** . القاهرة ؛ مجلد واحد .

ابن أبي الشنب (محمد) . فصل عن **ابن الابار** ، **د. م.ط.**

شيخو (لويس) . **شعراء النصرانية قبل الاسلام** . بيروت ، 1890 ؛ مجلدان .

صَبّاغ . **الاستعارة في القرآن** . 1943 ؛ مجلد واحد .

الصفدى (صلاح الدين) . **اختراع الخُراع** . مخط . العاشورية ، تونس .

— **الغيث المنسجم في شرح لامية العجم** . القاهرة 1305 ؛ مجلدان .

— **الوافي بالوفيات** ؛ مخط . 4840 — 4850 جامع الزيتونه ، تونس .

الضبّـي . **المفضّليات** . (1) نشر السندوبي ؛ القاهرة ، 1926/1345 ؛ مجلد واحد .

الطرابلسي (أمجد) . **نقد الشعر عند العرب إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي.** دمشق ، 1956 ؛ مجلد واحد .

طـرفـه . انظـر الأعلـم .

ابن عاشور (محمد الطاهر) . **المقدمة الادبية** (شرح لمقدمة المرزوقي على حماسة ابـي تمام) . تونس ، 1957 ؛ مجلـد واحد .

العباسي (عبد الرحيم بن احمد) . **معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص** .
(1) القاهرة ، 1274 ؛ مجلدان .
— (2) نشر محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ؛ 1947/1367 ؛ 4 مجلدات .

ابن عبد ربه . **العقد الفريد** . نشر سعيد العريان ؛ القاهرة ، 1940/1359 ؛ 8 مجلدات .

العبدري . **الرحلة المغربية** . مخط . عدد 5093 جامع الزيتونة ، تونس .

العجلوني (اسماعيل) . **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس** . القاهرة ، 1351 ؛ مجلدان .

العسكري . **كتاب الصناعتين** ؛ نشر أبي محمد البجّاوي ومحمد أبي الفضل ابراهيم ؛ القاهرة ، 1952/1371 ؛ مجلد واحد .

— . **ديوان المعاني** . القاهرة ؛ مجلدان .

العكبري . **شرح ديوان المتنبي** . (1) القاهرة ، 1308 ؛ مجلدان .

أبو العلاء . انظر المعري .

علاّم (مهدي) . **أبو الحسن حازم القرطاجني وفن المقصورة في الأدب العربي** . حولية كلية الآداب بجامعة عين شمس ؛ القاهرة عدد ماي 1951 ، 1 — 31 .

— نص **المقصورة** . جولية كلية الآداب بجامعة عين شمس ؛ القاهرة عدد 1953 — 1954 ؛ 1 — 110 .

عنان (عبد الله) . **نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين** . (2) القاهرة ، 1958/1378 ، مجلد واحد .

عنترة . **الديوان** . نشر كرم البستاني ؛ بيروت ، 1956/1377 ؛ مجلد واحد .

العياشي (أبو سالم) . **الرحلة** . نشر فاس ؛ مجلدان .

الغرناطي . **رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة** (شرح المقصورة) . القاهرة ، 1925/1344 ؛ مجلد واحد .

ابن فارس (أحمد) . **مقاييس اللغة** . نشر عبد السلام محمد هارون ؛ القاهرة ، 1366 ؛ 6 مجلـدات .

الفـاسـي (محمد) . **ابن رشيد الفهري ورحلته الى الشرق** . 1959 ؛ مجلد واحد .

فان ديك . **محيط الدائرة في علم العروض والقافية** . بيروت ، 1857 ؛ مجلد واحد .

الفرزدق . **الديوان** . نشر الصاوي ؛ القاهرة ، 1936/1354 ؛ مجلدان .

ابن القاضـي . **درة الحجال** . نشر علوش ؛ الرباط ، 1934 — 1936 ؛ مجلدان .

القالي (أبو علي) . **الأمالي** . القاهرة ، 1926/1344 ؛ 3 مجلدات .

ابن قتيبة . **الشعر والشعراء** . نشر شاكر ؛ القاهرة ؛ مجلدان .

قدامة بن جعفر . **نقد الشعر** . (1) الجوائب ، اسطنبول ؛ مجلد واحد .
(2) بوبنـكـر ؛ ليدن ، 1956 ؛ مجلد واحد .

القـــرآن .

القزويني . **شرح تلخيص المفتاح** . القاهرة ، 1317 ؛ 4 مجلدات .

القفطـي . **انباء الرواة في أخبار النحاة** . القاهرة ؛ 3 مجلدات .

قومز = قـارسيا قـومز (إميليو) . **ملاحظـات عامة على القصيدة المقصورة لابـي الحسن القرطاجني**. فصل بمجلة الاندلس ، 1933 ، 81 — 103 .

قواشون . معجم مصطلحات ابن سيـنا الفلسفية . باريس ، 1938 ؛ مجلدان .

كازري . المكتبة العربية الاسبانية بالاسكوريال . مجريط ، 1760 ، 1770 ؛ مجلدان .

الـكتبي (ابن شاكـر) . **فوات الوفيات** . نشر محمـد محيـي الـدين ؛ القـاهـرة 1952 ؛ مجلدان .

كثيـــر . انظـــر بيـريس .

كحالة (عمر رضا) . **معجم المؤلفين** . دمشق ، 1961/1381 ؛ 15 مجلدا .

كرد علي (محمد) . **رسائل البلغاء** . (4) القاهرة ، 1954/1374 ؛ مجلد واحد .

كرنـكـو . فصل عن **الصفدي** بـ **د م. إ.**

لسان العرب = **اللسان** . راجـع ابن منظـور .

ليتري . **معجم اللغة الفرنسية** ، باريس ، 1877 وما بعدها ؛ 4 مجلدات .

ليفي بروفانسال . **مؤرخو الاشراف** . باريس ، 1922 ؛ مجلد واحد .

— . نشر وترجمة وتقديم لكتاب **الروض المعطار** للحميري ؛ ليدن ، 1938 ؛ مجلد واحد .

المتنبي . **الديوان** . بيروت ، 1860/1276 ؛ مجلد واحد .

— . انظر البرقوقي .

— . انظر العكبري .

مخلوف . **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** . القاهرة ، 1350 ؛ مجلدان .

المرزباني . كتاب **الموشح** . القاهرة ، 1343 ؛ مجلد واحد .

— . **معجم الشعراء** ، نشر كرنكو عقب كتاب الآمدي ، 199 وما بعدها .

المرزوقي . **شرح ديوان الحماسة** لأبي تمام . القاهرة ؛ 4 مجلدات .

المرصفي . **رغبة الآمل في شرح الكامل** . القاهرة ؛ 8 مجلدات .

مسلم بن الوليد . **الديوان** . نشر سامي الدهان ؛ القاهرة ؛ مجلد واحد .

ابن المعتز . **الديوان** . نشر محمد محيي الدين الخياط ؛ دمشق ؛ مجلد واحد .

— . **طبقات الشعراء** . عبد الستار احمد فرّاج ؛ القاهرة ، 1956 ؛ مجلد واحد .

المعري (ابو العلاء) . **سقط الزند** . بيروت ، 1884 ؛ مجلد واحد .

— — . **التنوير** . القاهرة ، 1358 ؛ مجلدان .

— — . **رسالة الغفران** ؛ نشر وتحقيق بنت الشاطيء ؛ مجلد واحد .

المقري (احمد) . **نفح الطيب** ؛ نشر دوزي ، دوقات ، كريشل ، ورايت ؛ ليدن ، 1858 وما بعدها ؛ مجلدان .

— **ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض** . القاهرة ، 1939/1358 ؛ 3 مجلدات .

ابن منظور . **لسان العرب** . بولاق ، 1300 ؛ 20 مجلدا .

مهيار الديلمي . **الديوان** . القاهرة ، 1344 — 1925/1349 — 1930 ؛ 4 مجلدات .

النابغة . **الديوان** . (1) المصباح ، بيروت ؛ مجلد واحد .

— — (2) بيروت ؛ 1960/1379 ؛ مجلد واحد .

الناصري . كتاب **الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى** . نشر جعفر ومحمد الناصري ؛ الدار البيضاء ، 1954 ؛ 9 مجلدات .

ابن نباته السعدي . **الديوان** . مخط . عدد 4571 جامع الزيتونة ، تونس .

نللينو (كارلو الفونسو) . **تاريخ الادب العربي من الجاهلية الى عهد الدولة الاموية** ترجمة شارل بيلات ؛ باريس ، 1950 ؛ مجلد واحد .

النواجي (شمس الدين محمد) . **رسالة تتعلّق بالقوافي** مج . مخط . العاشورية . تونس .

ابو نواس . **الديوان** . (1) التقدم ، القاهرة ؛ مجلد واحد .

— — (2) نشر احمد عبد المجيد الغزالي ؛ القاهرة ، 1953 ؛ مجلد واحد .

وايل . فصل عن **العروض** بـ **د. م. إ.** (2) ؛ 688 — 698 .

ابن الوليد . انظر مسلم .

وهب بن منبّه . كتاب **التيجان** . الهند ، 1347 ؛ مجلد واحد .

المصـــادر الأجنبيـــة

•

BENCHENEB (M.) *Art. sur I. Al-Abbâs.* in E.I.

BLACHERE (R.) *Histoire de la littérature arabe des origines à la fin du XV° siècle. J.c.* Paris, 1952; 1 vol. in 4°.

— *Métrique et Prosodie arabes à la lumière des publications récentes.* in Arabica. T. VII, sept. 1960; fasc. 3, pp. 225-236.

BROCKELMANN (C.) *Geschichte der Arabischen Litteratur.* Weimar - Berlin, 1898-1902; 2 vol. in 8°.

— *Geschichte der Arabischen Litteratur.* Supplementband. Leyde, 1937 suiv.; 3 vol. in 8°.

BRUNSCHVIG (R.) *La Berbérie Orientale sous les Hafsides.* Paris, 1940-1947; 2 vol. in 4°.

CASIRI. *Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis.* Madird, 1760-1770; 2 vol. in 4°.

CATTENOZ (H.G.) *Tables de concordance des ères chrétienne et hégirienne.* Rabat, 1953, 1 vol. in 4°.

DEREMBOURG (H.) *Les Manuscrits Arabes de l'Escurial.* 3 vol. in 4°.

E.I. = *Encyclopédie de l'Islam.* Leyde - Paris, 1908-1942; 4 vol. et un supplément, in 4°.

— Ibidem, 2° ed. en cours de publication. Leyde - Paris, à partir de 1954.

GARCIA GOMEZ (E.) *Observaciones Sobre la Qasída Maqsûra de Abu-l-Hasn Al-Qartajanni.* in Al-Andalus, 1933, pp. 81-103.

GOICHON (A.M.) *Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sînâ.* Paris, 1938; 2 vol. in 4°.

HAZRAGI (Ali) *La Hazragyya. Traité de Métrique Arabe.* Trad. et Comment. R. Basset; ed. Alger, 1902; 1 vol. in 4°.

JULIEN (Ch. A.) *Histoire de l'Afrique du Nord (Tunisie-Algérie-Maroc) de la Conquête Arabe à 1880.* Paris, 1952; 2 vol. in 8°.

KRENKOW (F.) *Art. sur Safadi.* in E.I.

LEVI-PROVENCAL (E.) *Les historiens des Chorfas.* Paris, 1922; 1 vol. in 4°.

— *La Péninsule Ibérique au Moyen-âge d'après le Kitâb Ar-Rawd al-Mi'târ d'Al-Himyari.* Leiden, 1938; 1 vol. in 4°.

LITTRE (E.) *Dictionnaire de la langue française.* Paris, 1877 et suiv.; 4 vol. in 4°.

NALLINO (C. Alfonso) *La Littérature Arabe des origines à l'époque de la Dynastie Umeyade.* Trad. Charles Pellat. Paris, 1950; 1 vol. in 8°.

PERES (.H) *Fuhul al-adab fi Ilm al-adab. Comment. du Diwan Kutayyr.* ed. Alger-Paris, 1928; 1 vol. in 8°.

SABBAG (T.) *La Métaphore dans le Coran.* 1943; 1 vol. in 4°.

SUTER (H.) *Art. sur Ibn-al-Haytam.* in E.I.

TERRASSE (H.) *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du Protectorat Français.* Casablanca, 1949-1950; 2 vol. in 8°.

TRABULSI (A.) *La Critique Poétique des Arabes jusqu'au V° siècle H./XI° siècle J.C.* Damas 1956; 1 vol. in 4°.

WEIL (G.) *Art. sur Arûd.* in E.I. (2) ed. pp. 688-698.

مَدْخل

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لم يكن من بين النقّاد العرب من عهد قدامة بن جعفر إلى عهد ابن رشيق من عني عناية ملحوظة بكتاب الشعر لأرسطو المنقول عن السريـانية بأقلام كثير من الفلاسفة أمثال الفارابـي وابن سينا وابن رشد (1) .

وليس من بين المؤلّفين المتقدّمين عامة من قصد في نقد الشعر إلى الجمع بين الطريقتين الهيلينية والعربية غير الرياضـي الفيلسوف ابن الهيثم المتوفّى بالقاهرة سنة 1038/430 (2) ، وذلك بمصنّفه الذي يبدو أنّه مفقود كجملة آثار ابن الهيثم ، والذي عنوانه : « **رسالة في صناعة الشّعر ممتزجـة من اليـونانـي والعربـي** » (3) .

ونظرا لهذا الوضع فإنّ من الصعب جدّا التوصّل إلى تقدير تأثيرات أرسطو على نقد الشّعر عند العرب .

(1) راجع في هذا أرسطو ، (1) ، 149 ـ 158 ، 161 ـ 198 ، 201 ـ 250 .

(2) راجع ترجمته في د . م . إ . ، (1) ، ٢ ، 405 . فصل ابن الهيثم بقلم سوتر

(3) راجع ابن أبي أصيبعة ، ٢ ، 94 س 26 .

وهذا غرض قد أحاطت به شكوك كثيرة وتباينت فيه الآراء كما يظهر ذلك بوضوح من كتابي إبراهيم سلامة وأمجد طرابلسي . فإذا كان أوّلهما يسلّم بوجود التأثيرات الهيلينية على نقد الشّعر لدى العرب (4) ، فإنّ الثاني ينكر ذلك إطلاقا (5) .

واليوم يمكننا أن نضع حدّا للشك والغموض السابقين بالوقوف على كتاب حازم القرطاجنّي الأندلسي الذي يمثّل في باب نقد الشعر من جهات كثيرة أهميّة بالغة ويصوّر بغاية الوضوح ، كما سنبيّنه ، التأثيرات اليونانية في صناعة النقد عند العرب (6) .

وللتوصّل إلى بيان ذلك رأينا أن نعرّف بحازم أوّلا ثمّ نتناول بالتحليل التفصيلي كتابه **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** لإماطة اللثام عن الصبغة الهيلينية في مؤلّفه .

(4) راجع ابراهيم سلامة ، 127 ـ 200 ، 210 ـ 217 .

(5) راجع أمجد الطرابلسي ، 78 ، ص 22 ـ 25 .

(6) انظر اسفله 99 .

مصادر حياة حازم

من الضروري لتدوين حياة حازم أن نعود إلى مصادر أربعة مختلفة :

أ) أقوال حازم عن نفسه .

ب) المؤلّفات المفقودة التي يحيل عليها أو يذكرها السيوطي والمقّري .

ج) المعلومات التي تركها حول حازم معاصروه .

د) الترجمات المحرّرة بعدُ والمستمدّة عناصرها ممّا تقدّم ذكره من المصادر المختلفة .

أ) ــ أقوال حازم عن نفسه .

يمكن أن نعتبر من هذا القسم جملة أشعار حازم (7) ورسائله سواء منها ما تعلّق بالعربية (8) أو بأحكام القافية (9) . فإذا قدّر لنا أن نتعمّق دراسة هذه الآثار لمؤلّفنا استطعنا بعد الغوص على دقائقها أن نكشف عن حياة حازم وعن علاقاته بأمراء عصره (10) ، عن شيوخه وعن معاصريه . وأزخر مادة من بين هذه الآثار الكثيرة المتنوّعة **القصيدة المقصورة** (11) . فهي غنيّة ، فريدة بما اشتملت عليه من معلومات دقيقة عن الظروف الملابسة لحياة حازم بمسقط رأسه (12) وبالمغرب العربي (13) .

ب) ــ المؤلّفات المفقودة التي يحيل عليها أو يذكرها السيوطي والمقّري .

---

(7) انظر اسفله 73 ــ 86 .

(8) انظر اسفله 87 ــ 88 .

(9) انظر اسفله 89 .

(10) خالط حازم من الأمراء : الرشيد الموحّدي وأبا زكرياء الحفصي وابنيه المستنصر والواثق انظر اسفله 59 وتع 160 ، 71 وتع 233 ، 78 ، 79 ، 81 .

(11) انظر اسفله 81 ــ 86 .

(12) مثلــه

(13) مثلــه

أوّل هذه المؤلّفات يُنسب **لابـي حيّان** الأندلسي (14) المولود بغرناطة سنة 1256/654 ، المتوفّى بالقاهرة سنة 1344/745 (15) . فلقد خصّ هـذا المؤلّف حازما بترجمة أثنى عليه فيها (16) ، إمّا في **برنامجـه** الذي تحدّث فيه عن شيوخه ، وهو الذي ينقل لنا المقرّي ملخّصه عن الرُعيني (17) ، وإمّا بأحد كـتابيه تاريـخ **نحاة الأندلس** أو **النضار** الـوارد ذكرهمـا في ترجمة السيوطـي له (18) .

وثاني المصنّفات المفقودة المشار إليه **كنّش** ابن المُرابط نزيل تونس (19) ، وهو الذي دلّ المقرّي على إقامة حازم زمنا بمرّاكش .

ج) ــ القسم الثالث من المعلومات : ما كتبه معاصرو حازم عنه . وهؤلاء كـثيــر :

1 ــ ابن الأبّار المؤرّخ المحدّث الذي قتله المستنصر الأوّل الحفصـي سنة 1260/658 (20) . ذكر في **تـكملته** ، في سطور سبعة ، ترجمة لوالد حازم ، نقـل مضمونها عن ولده (21) .

2 ــ ابن سعيد الـكاتب الشّاعر المؤرّخ الرحّالة . هو من أسرة بنـي سعيد المشهورة . ولد بقلعة بنـي سعيد سنة 1214/610 وتوفي بتونس سنـة 1286/685 (22) . وقد خصّ حازما بالترجمة الثالثة من **قدحـه** . **فنـوّه**

---

(14) هو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الاندلسي الغرناطي النفزي، نسبة الى نفزة ، قبيلة من قبائل البربر بالمغرب . راجع السيوطي : **البغيـة** ، 121 .

(15) راجع المقري : **النفـح** ، (1) ، ١ ، 833 ـ 862 ، عدد 214 .

(16) راجع في ذلك المقري : **الازهـار** ، ٣ ، 172 س 4 ـ 5 .

(17) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعَيْني الاندلسي ، تلميذ ابن حيان ، ولـه برنامج . راجع المقري : **النفـح** ، (1) ، ١ ، 843 ، س 7 وما بعده .

(18) راجع السيوطي : **البغيـة** ، 121 س 20 وما بعده .

(19) راجع لهذا المقري : **الازهار** ، ٣ ، 173 س 11 ـ 12 ، ق . كحالة ، ٨ ، 33 ، ٩ ، 21 ، 284 ، ١١ ، 199 ، ١١ ، 22 ، 121 ، 234 .

(20) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الاندلسي المعروف **بابن الأبـار** . راجع المقـري : **النفـح** ، (1) ، ١ ، 866 س 12 ـ 769 س 6 ، **د. م. ا.** تـرجمـة ابن شنب لـه (1) ٢ ، 374 ـ 375 ؛ **مخلوف** ، ١ ، 195 عدد 661 .

(21) **ابن الأبـار** ، ٢ ، 633 عدد 1650 .

(22) هو أبو الحسن بن موسى ابن سعيد . راجع ابن رشد ، مخطـ ، 1737 ، و . 100 أ ـ 101 أ ؛ **مخلوف** ، ١ ، 197 عدد 668 ؛ **د. م. ا.** ، (1) ، ٢ ، 439 .

بمقدرتـه وأثنى عليه وذكـر هجرته إلى بـلاد المغرب وانتسـابه إلى بـلاط الحفصيين في عهد المستنصر الأوّل . وأورد له بعض قطع من شعره (23) .

3 ـ العبدري صاحب **الرحلة المغربية** . ذكر بها ما شاهده في وجهتـه إلى الحج في 25 ذي القعدة 11/688 دسمبر 1289 (24) . وقد أورد في هـذه الرحلة كثيرا من أسماء الشيوخ والمحدّثين الذين سمع منهم ، من بينهم أبو الحسن علي بن إبراهيم التجانـي تلميذ حازم . لقيه بتونس وسمع منه القصيدة اللامية الطويلة التـي نظمها القرطاجنّـي في مدح الرسول صلى الله عليـه وسلـم (25) .

4 ـ ابن رُشَيْد العالم المحدّث والشّاعر الرحالة . ولد بسَبتة 1258/657، وتوفي بفاس 1321/721 (26) . اشتهر كثيرا **برحلته** الكبيرة (27) التـي ضمّنها سماعاته عن شيوخه وأصحابه الذين لقيهم بالمغرب والمشرق عنـد قصده إلى الحج ، وترجم لهم . والمظنون أنّ هذا الرحّالة لقـي حـازمـا بتونس عند الذهاب ، أي حين اجتيازه بها للمرّة الأولى ، وذلك سنة 1284/683 . وقد حفظ ابن رُشيد لشيخه هذا إكبارا عظيما وودّا كبيرا تـدلّ عليهما الإشارات العديدة التـي تضمّنتها الرحلة . وفعلا فإنّ المؤلّف أورد ذكره بها فيما وقفنا عليه منها اثنتـي عشرَة مرّة :

1) استحسان حازم لقصيدة أبـي الفضل التجانـي (28) .

2) إيراد أبيات ميميّة أربعة من الوافر رثى بها التجانـي الشاعرين الكاتبين حازما والحِميري (29) .

---

(23) ابن سعيد ، 20 ـ 21 عدد 3 .

(24) هو أبو محمد محمد العبدري من بني عبد الدار . أصله من بلنسية . راجع د. م. ا. (I) ، ١ ، 69 ـ 70 .

(25) العبدري ، مخط . 5093 ، و . 155 ب س 14 ـ و . 157 ب س 16.

(26) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر الفهري السبتي . المعروف بابن رشيد . راجع السيوطي : **البغيـة** 85 ؛ الفاسي .

(27) عنوان الرحلة كما اورده الفاسي : **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكـة وطيبة .**

(28) راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 و . 5 ب س 14 ـ 15 .

(29) راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 و . 8 ب س 26 ـ و . 9 أ س 3 .

3) ذكر قصيد صوفي لحازم نفسه نظمه بتونس . وقد مهّد ابن رشيد لذلك برواية خبر يتعلّق بناظمه (30) .

4) ذكر بيت لحـازم ألغز فيـه . وقـد عقّبـه ابن رُشيـد بالتنويـه بمقدرة ناظمه والإعجاب ببراعته (31) .

5) ذكر سماع التجاني من حازم لثلاثة أبيات في تورية ، أنشده حازم إيّاها عند زيارته له ببيت الـكتّاب بتونس (32) .

6) إيراد قصيدة طويلة لحازم تتألّف من مائة بيت في مدح الأميـــر الحفصي أبـي زكـريـاء الأول (33) .

7) الحديث عن أبـي العباس أحمد الـكتّانـي التونسـي واحتفاظه بجملة مصنّفات حازم (34) .

8) إيراد قصّة تصوّر اختلاف حازم عن ابن حَبيش في كون الأول يفخّم كلام نفسه ويعتزّ بصناعته وتأليفه فيـكشف أحيانا عن بدائع روائع كامنة في فائق كلامه ، وكون الثانـي يخفـي محاسن أدبه . وقد ميّز بينهما ابن رُشيد في الصناعة بقوله عنهما : « كانا الغاية في طريقتيهما ، أبو الحسن في جزالته وأبو بـكر في حلاوته » (35) .

9) إيراد شهادة أبـي بكر ابن حَبيش في حازم عن طريق أبـي الفضل التجانـي وهـي قوله : « كان أبو الحسن حامل راية الأندلسيين » (36) .

10) ذكر حازم وأخيه أبـي علي فيمن حضر مجلس الرشيد المـوحّدي بمرّاكش وتذييلهما بيتـي ابن الجوزي النونيين فيمن ذيّلهما ، الأول بتسعة وعشرين بيتا والثانـي بثلاثة أبيات . وذلك نقلا عن مجموع جمع

---

(30) راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 و . 31 أ س 19 ــ و . 32 أ س 5 .
(31) راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 و . 34 آ س 5 وما بعده .
(32) راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 و . 36 أ س 3 وما بعده .
(33) راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 و . 40 أ س 10 ــ و . 42 أ س 2 .
(34) راجع ابن رشيد ، مخط 1737 و . 35 ب س 14 ــ 20 : انظر عن الكتاني اسفله 43 .
(35) راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 و . 40 أ س 5 ــ 14 .
(36) راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 و . 40 أ س 20 .

فيه ما وقـع في ذلك المجلس ، أوقـف ابنَ رُشيد عليـه بعضُ أصحابـه بتـونس (37) .

11) ذكر تنويه ابن القُوبـَع بسعة علم حازم وفضل كتابه **المنهاج** ، وذلك قوله : « وقال لي صاحبنا أبو عبد الله : إنّه انتفع في هذا العلم (البلاغة) بكتاب شيخنا أبـي الحسن حازم رحمه الله . قال ولمّا وقفت على قـوانينه ووعيتها ، وإن كان ترك التمثيل لها ، صار كلّ ما أقرأه وأنظر فيه من كلام بليـغ أو بديـع يصير كلّه لي أمثلة لتلك القوانين » (38) .

12) ترجمة ابن رُشيد لحازم . وقد تـكون هذه الترجمة في القسم المفقود من الرحلة ، يدلّ على ذلك إشارته إليها بقوله قبل إيراده للقصيدة الصادية بطولها التي يرويها له عن التجاني : « وقد تقدّم المقدار الذي أنشدني منها شيخنا أبو الحسن حازم رحمه الله في رسمه » (39) . هذا وقد أورد السيوطي والمقرّي فقرة من هذه الترجمة جاء فيها : « أبو الحسن حازم حبر البلغاء وبحر الأدباء ، ذو اختيارات فائقة واختراعات رائقة ، لا نعلم أحدا ممّن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ولا أحكم من معاقد علم البيان ما أحكم من منقول ومبتدع . وأمّا البلاغة فهو بحرها العذب والمنفرد بحمل رايتها أميرا في الشرق والغرب . وأمّا حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها فهو حمّاد رواياتها وحمّال أوقارها ، يجمع في ذلك جودة التصنيف وبراعة الخطّ ، ويضرب بسهم في العقليات ، والدراية أغلب عليه من الرواية » (40) .

5 ــ التجاني الـكاتب الرحّالة المولـود بتونس بين سنة 670 ــ 675/ 1272 ــ 1276 ، المتوفّى عقب سنة 721/1321 (41) . أورد لحازم مرّة واحدة في رحلته قطعة من الشعر بقصد مقارنتها ببيت للشمّاخ ابن الضرار (42) .

(37) راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 و . 106 ب س 7 ــ 109 أ س 16 .

(38) راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 و . 117 أ س 5 ــ 14 .

(39) راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 و . 40 أ س 12 .

(40) راجـع السيوطي : **البغيـة** ، 214 ؛ المقـري : **الأزهـار** ، ٣ ، 172 س 6 وما يليـه ؛ **النفـح** ، (I) ، ١ ، 866 س 9 ــ 12 .

(41) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم ، احد أفراد الاسرة التجانية المشهورة . راجع مخلوف ، ١ ، 206 عدد 716 ؛ مقدمة **الرحلـة** ، 19 ــ 46 .

(42) راجع التجاني ، 186 س 7 ــ 11 .

6 — الصفدي المؤرّخ صاحب الطبقات والتراجم . ولد بصفَد من أعمال فلسطين سنة 1296/696 — 1297 ، وتوفي بدمشق سنة 1362/764 (43) . ترجم لحازم في كتابه **الوافي بالوفيات** . فأورد بعض معلومات عن حياته ولقّبه بهني‌ء الدّين . ذكر من مصنّفاته **سراج البلغاء** في البلاغة وقصيدة في النحو . وختم هذه الترجمة بإيراد قطعة من شعر حازم في النسيب تتألّف من تسعة أبيات ميميّة (44) .

7 — السُّبْكي : ولد سنة 1319/719 وتوفي سنة 1371/773 . عالم من علماء البلاغة ، واسع المعرفة ومحدّث مشهور أخذ عن المزّي وأبي حيّان الأندلسي ورجال آخرين (45) . وهو صاحب كتاب **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح** . وبه أورد العنوان الكامل لكتاب حازم عند ذكر مصادره (46) ، كما نقل منه فقرا وأحال عليه أخرى (47) .

8 — ابن الخطيب لسان الدين : الكاتب الشاعر وزير بني الأحمر المولود بغرناطة سنة 1313/713 والمتوفّى بفاس سنة 1374/776 (48) . أورد في **الإحاطة** قصة يتندّر فيها بحازم (49) .

9 — الزركشي . عالم من علماء البلاغة واسع المعرفة ولد بالقاهرة سنة 1344/745 وتوفي بها سنة 1392/794 (50) . من مصنّفاته كتاب **البرهان**

---

(43) هو صلاح الدين خليل ابن ايبك . راجع د. م. ا ، (فصل بقلم كرنكو) ، (I) ، ٤ ، 54 — 56 ؛ الزركلي ، (2) ، ٢ ، 365 — 366 .

(44) انظر اسفله 77 وتع 250 .

(45) هو بهاء الدين احمد بن علي بن عبد الكافي السبكي . راجع السيوطي : **البغية** ، 148 — 149 ؛ بروكلمان ، ٢ ، 12 — 13 عدد 16 .

(46) انظر اسفله 64 .

(47) انظر م . 383 — 387 .

(48) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني الغرناطي ، المعروف بابن الخطيب . راجع بروكلمان ، م. ، ٢ ، 372 ؛ د. م. ا. ، (I) ، ٢ ، 621 ، مخلوف ، ١ ، 203 عدد 825 ، الزركلي (2) ، ٧ ، 112 — 113 .

(49) راجع ابن الخطيب ، 208 .

(50) هو بدر الدين محمد بن عبد الله ، المعروف بالزركشي . راجع بروكلمان ، ٢ ، 108 عدد 18 .

في علـوم القرآن ، وبه أورد الاسم الكامل لتأليف حازم ، ونوّه بشأنه ونقل عنه في ثمانية مواضع (51) .

د) الترجمات المحرّرة بعدُ ، والمستمدّة عناصرها مما تقدّم ذكره من المصادر . وعدد هذه الترجمات كثير نعدّ من بين أصحابها :

1 — الدماميني اللغوي النحوي المولود بالإسكندرية سنة 1362/763 والمتوفّى بكابرجا من بلاد الهند سنة 1424/827 (52) . وهو صاحب **الحواشي الهندية** . ذكر في شرحه لكتاب **المغني** لابن هشام ، عند الحديث عن المسألة الزنبورية ، أخبارا قليلة تتعلّق بحازم . فأشار إلى أصله ومنشئه وبلد هجرته وذكر من مؤلّفاته النّظمية القصيدة **المقصورة** والطريقين اللذين يرويها بهما ، كما ذكر له من **قصيدته النحوية** سبعة عشر بيتا زيادة على ما ذكره ابن هشام في الأصل وهو أربعة عشر بيتا (53) .

2 — السيوطي العالم المؤرّخ الواسع المعرفة المولود بالقاهرة سنة 1445/849 والمتوفى بها سنة 1515/911 (54) . ترجم لحازم في **البغية** ملخّصا ثمّة مقالات أبي حيان وابن رُشيد والصفَدي والسُبْكي والزركشي حوله. ذكر من مصنّفاته **سراج البلغاء** في البلاغة (55) . واستشهد بنصوص من **المنهاج** ثلاث مرّات في **المزهر** (56) ، ومرّتين : واحدة في كتابه **الإتقان** (57) ، والأخرى في **الاقتـراح** (58) .

---

(51) انظر م. 388 — 393 .
(52) هو محمد بن أبي بكر . راجع بروكلمان ، م. ، ٢ ، 17 ؛ كحالة ، ٩ ، 115 .
(53) راجع الدماميني ، ١ ، 189 — 190 .
(54) هو عبد الرحمان ابن أبي بكر . راجع د. م. ا ، (I) ، ٤ ، 601 — 602 .
(55) راجع السيوطي : **البغية** ، 214 س 17 .
(56) انظر م. 383 تع 2 ، 386 تع 2 .
(57) انظر م. 390 تع 1 .
(58) انظر م. 383 تع 2 .

3 — الزركشي المؤرخ التونسي المتوفى بُعيد سنة 1525/932 (59) لا يذكر في كتابه **تاريخ الدولتين** غير سنة وفاة حازم (60).

4 — ابن القاضي، الفقيه، الأديب، المؤرخ، الشاعر والرياضي، المولود بمكناس سنة 4/960 — 1553 والمتوفى بفاس سنة 1616/1025 (61). ترجم لحازم في كتابه **درّة الحجال** ونوّه بشأن صاحب **المقصورة** معقبا ذلك بإيراد نصّ إجازة بعض العلماء المصريين لحازم (62). ولم يذكر من بين المتخرّجين عليه غير ابن رُشيد (63).

5 — المقّري، المؤرّخ، الشّاعر والكاتب، المولود بتلمسان حوالي سنة 2/1000 — 1591 والمتوفّى بالقاهرة سنة 1632/1041 (64). أتمّ ما جمعه السيوطي (65) من معلومات حول حازم وخصّ صاحب **المقصورة** في **النفح** (66) بترجمة، ثمّ عاد إلى الحديث عنه في **الأزهار** (67) ذاكرا له أبياتا كثيرة من نظمه ومشيرا إلى إقامته القصيرة بمرّاكش زمن الرشيد الموحّدي قبل استقراره بتونس (68). هذا وقد مهّد للأولى بقوله: « خرج أبو حيانَ من الأندلس سنة تسع وسبعين وستمائة. وكان جماعة من أعلام الأندلس رحلوا منها، فلمّا وصلوا إلى العدوة أقاموا بها ولم يذهبوا إلى البلاد المشرقية، منهم الشيخ النحوي الناظم الناثر أبو الحسن حازم بن محمد

---

(59) هو محمد بن ابراهيم ابن لؤلؤ، المعروف بالزركشي. راجع بروكلمان، م. ٢، 677؛ الزركلي، (2)، ٦، 192.

(60) راجع الزركشي: **التاريخ**، 41 س 11.

(61) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ابن القاضي. راجع د. م. 1، (1)، ٢، 414 — 415.

(62) انظر اسفله 69.

(63) راجع ابن القاضي، 137 عدد 381.

(64) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني. راجع بروكلمان، م. ٢، 407 عدد 6.

(65) انظر اعلاه 39.

(66) راجع المقري: **النفح**، (1)، ١، 862 — 866 عدد 215.

(67) راجع المقري: **الأزهار**، ٣، 171 س 8 — 182 س 11.

(68) انظر اعلاه 34.

القرطاجنّي » (69) . ثم أورد له في **النفـح** أيضا كثيرا من القصائد والقطع الشعرية (70) ، وذكـر من مؤلّفـاتـه رسالتـه في الـرّد على **المقرّب** لابن عصفور (71) . وتحدّث عن علوّ درجته العلميّة وعظيم تأثيره على من حوله من العلماء والطلاّب ، وعن تقدير الأمير المستنصر بالله الحفصي له وثقته به (72) .

6 — حاجي خليفة ، المولود بالآستانة سنة 1609/1017 ، والمتوفّى بها سنة1657/1067 (73) . قدّم لنا في مكانين مختلفين من كتابه **الكشف** معلومات تتعلّق بحياة حازم ومؤلّفاته . وذكـر له بالخصـوص **المقصورة** (74) ، **ومنهاج البلغاء** في علمي البلاغة والبيان (75) .

7 — العيّاشي ، المولود بالقرب من تفيلالت من بلاد المغرب الأقصى سنة 1638/1037 والمتوفّى سنة 1679/1091 (76) . ينقل في **رحلتـه** عن ابن رُشيـد قطعـة من نظـم حازم (77) .

8 — السرّاج ، المتوفّى سنة 1736/1149 [78) ينقل في **حلله** كلام العبدري عن حازم ويورد قطعتين من نظمه (79) .

9 — الأمير ، المولـود بالقاهـرة سنة 1741/1154 والمتـوفّى سنة 1232/ 1817 (80) . ذكر في **حاشيته** على **المغني** لابن هشام شيئا عن حياة حازم .

---

(69) راجع المقري : **النفـح** ، (1) ، ١ ، 862 س 4 — 6 .

(70) راجع المقري : **النفـح** ، (1) ، ١ ، 862 س 8 — 866 س 17 ، ٢ ، 409 ، 522 .

(71) راجع المقري : **النفـح** ، (1) ، ٢ ، 522 .

(72) راجع المقري : **النفـح** ، (1) ، ١ ، 599 .

(73) هو مصطفى بن الكاتب شلبي . راجع بروكلمان ، م. ، ٢ ، 635 .

(74) راجـع خليفة ، ٢ ، 323 .

(75) راجـع خليفة ، ٢ ، 352 — 353

(76) هو أبو سالم العياشي ، من ايت عياش قبيلة بربريـة بالمغـرب الاقصى ، راجـع ليفي بروفنسال ، 262 — 264 ؛ بروكلمان ، ٢ ، 711 .

(77) راجع العياشي ، ٢ ، 254 ، ق . ابن رشيد ، مخط . 1735 ، و . 36 أ س 3 وما يليه.

(78) هو محمد بن محمد الاندلسي . راجع كحالة ، ١١ ، 194 .

(79) راجـع السرّاج ، 219 ، 303 .

(08) هو محمد بن محمد الازهري ، المعروف بالامير . راجع كحالة ، ٩ ، 68 .

فتحدّث عن مولده بالأندلس وإقامته بتونس نقلا عن السيوطي . وعدّ من مؤلّفاته **المقصورة** وكتابا في ستة أجزاء في البلاغة سماه **منهاج البلغاء** ، **والقصيدة النحوية** المحتوية حسب زعمه على نحو مائتي بيت . ذكر منها ابن هشام في الأصل أربعة عشر بيتا وأضاف إليها الأمير أربعة وثلاثين أخرى (81) .

10 ـ مخلوف ، الواسع المعرفة ، المؤرّخ المعاصر ، من مواليد المنستير بتونس . ترجم لحازم بطبقاته : **شجرة النور الزكية** . فلخّص هنالك ما جاء به المقرّي في ترجمة حازم وأحال عليه (82) .

فممّا تقدّمت الإشارة إليه من المصادر نستطيع أن نلاحظ أننا لا نملك عمليّا ترجمة وافية لحازم . وكلّ ما لدينا لا يعدو أن يكون قصّة أو خبرا أو شهادة تتعلّق بشخص حازم أو بعلمه . فإذا كانت متعلّقة بشعره وردت في الغالب معقّبة بأبيات أو قطع من نظمه . وأهمّ من يعتمد من الكتّاب السابقين ابن رُشيد والمقرّي . وذلك لما يمتازان به في الترجمة لحازم من الأخبار المنتقاة والأحكام الدقيقة ممّا جعلهما أساسا لكلّ ما حرّر حتّى الآن من الفصول والدراسات عن حازم .

ومن بين البحوث التي أنارتنا في دراستنا هذه ينبغي أن نعدّ :

1 ـ مقال الأستاذ أميليو قارسيا قومز الذي عنوانه « **محاولات في الترجمة لحازم القرطاجنّي والشريف الغرناطي** » (83) .

2 ـ دراسة الأستاذ محمد المهدي علاّم **للمقصورة** (84) .

(81) راجع الامير ، ١ ، 75 .

(82) راجع مخلوف ، ١ ، 197 عدد 607 .

(83) راجع ملاحظات عامة حول القصيدة المقصورة لابي الحسن القرطاجني . قومز : الاندلس ، 1933 م ، I ، عدد I ، 81 .

(84) تتعلق هذه الدراسة بالترجمة لابي الحسن حازم القرطاجني والتعريف بفن المقاصير . **حولية** ، سنة 1951 ، ١ ، I ـ 31 .

3 — المـؤلّف العظيم للأستـاذ بـرنشفيق : **شرقي بلاد البربر في العصـر الحفصـي** ، وهو الذي أعاننا على إبـراز الحياتين السياسية والثقـافية بشمالي إفريقيا لعهـد حـــازم (85) .

4 — مقال الأستاذ عبد الرحمن بدوي عن **حازم القرطاجنّي ونظريات أرسطو في البلاغة والشعر** (86) .

(85) في هذه الدراسة الواسعة تعرض المؤلف لذكر حازم في الجزء الثاني ، الباب 13 ، 407 .

(86) راجع **الى طـه حسين** ، 85 ـ 146 .

حياة حازم

الحالة السياسية والثقافية بالأندلس في أول القرن السابع/الثالث عشر.

لقد كان لسنة 1212/609 أثر بالغ في تاريخ الأندلس ، به تحوّل الوضع تحوّلا كاملا في جنوبي الجزيرة الإيبيرية (87) . فعاد ما كان بين النصارى من تخاذل وانقسام تماسكا والتآما وسارعت جميع عناصرهم تضاعف حركة القتال ، ومطاردة المسلمين ، ابتغاء استرجاع السيادة الكاملة في اسبانيا (88) . وهكذا تحالف ملوك قسطلة وليون وأراغون ونافار والبرتغال ، وعادت الإمارات الثلاث القديمة دُولا قوية . فاكتسح ملك البرتغال أراضي المسلمين الواقعة جنوبي بلاده . وشرع ملك قسطلة فردناند الثالث وملك أراغون خايمي في فتنة المسلمين شرقي الأندلس (89) ، كما نظّما حركة الزحف على ما بقي بأيدي ملوك الطوائف من إمارات إسلامية ، جنوبي الجزيرة (90) .

أمّا بنو عبد المؤمن من الموحّدين فإنّهم تأكّدوا ، بعد خيبة واقعة العُقاب سنة 1212/609 ، من ذهاب سلطانهم في الأندلس والمغرب جميعا . وتخاذَل أشياخ الموحّدين في إدارة شؤون السلطنة ، فلم يزد ذلك إلاّ فسادا وبلبلة . وظهرت في تلك الآونة فتن كثيرة هنا وهناك كانت سببا في انقسام البلاد (91) . وخرج أبو عبد الله محمد بن هود عن الموحّدين سنة 1229/625 . فزاد ذلك السلطنة إرهاقا ونكالا . واجتاحت ثورته مرسية . وقد سانده في ذلك

(87) راجع عنان ، ٢ ، 67 ؛ جوليان ، 118 س 3 — 7 ؛ تراس ، ١ ، 340 — 342 .

(88) راجع عنان ، 78 .

(89) راجع عنان ، 80 — 81 .

(90) راجع عنان ، 81 ؛ تراس ، ١ ، 349 — 350 .

(91) راجع عنان ، 81 ؛ تراس ، ١ ، 353 — 355 .

العبّاسيون وتلقّب بالمتوكّل . وفي ثلاث سنوات استطاع أن يمدّ نفوذه على جيّان وقرطبة والمَريّة وباجّة وغرناطة . وحاول بمفرده أن يقف في وجه الزاحف النصراني فردناند الثالث ، فحرص على فرض سلطانه على الساحل كلّه وعلى الولايات الجنوبية الواقعة بين الجزيرة والمرية من جهة ، وبين قرطبة وغرناطة من جهة أخرى (92) . ولم يلق ابن هود في المهمّة التي اضطلع بها أيّة مساندة من ملوك وأمراء المسلمين بالجزيرة . فقد عارضه خصمه ابن الأحمر (93) ملك غرناطة ، ووقف في وجهه بعض الأمراء الموحّدين المقيمين إلى ذلك العهد بجنوبي اسبانيا (94) . وتبعت ذلك فتنة وحرب داخلية انتهزها الملك النصراني فردناند الثالث فرصة للاستيلاء على كثير من القواعد والمدن ، وخاصّة على قرطبة سنة 1236/633 (95) .

هذا وقد أصابت حرب الاسترداد القوميـة في الصميم الحياة الفكرية والثقافية بالأندلس . وكان لسقوط قرطبة بالخصوص من النتائج ما حمل كثيرا من أسر العلم والأدب على الهجرة . ومن بين من فارق الأندلس في تلك الأثناء :

— ابن عربي ، الفقيه الفيلسوف ، المولود بمرسيّة سنة 1165/560 والمتوفّى بدمشق سنة 1240/638 (96) .

— ابن مالك ، النحوي اللغوي ، المولود بجيّان سنة 1203/600 — 1204 ، والمتوفّى بدمشق سنة 1274/672 (97) .

— ابن البَيطار ، العالم الطبيب ، المتوفّى سنة 1248/646 (98).

---

(92) راجع تراس ، ١ ، 355 : عنان ، 26 — 27 .

(93) راجع ناصري ، ٢ ، 211 س 3 : عنان 27 .

(94) راجع عنان ، 27 .

(95) راجع عنان ، 28 : ق . ناصري ، ٢ ، 122 س 4 .

(96) هو محي الدين بن عربي، وتمام اسمه أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي . د. م. ا ، (I) ، ٢ ، 383 — 384 .

(97) هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الجياني . د. م. ا ، (I) ، ٢ ، 426 — 427 ؛ السيوطي : **البغية** ، 53 — 57 .

(98) هو أبو محمد عبد الله بن احمد . بروكلمان ، م. ١ ، 896 — 897 ؛ المقري : **النفح** ، (I) ، ١ ، 934 عـدد 302 .

— ابن الرومية : الطبيب والعالم النباتي ، المولود سنة 1171/567 ، والمتوفّى بـإشبيلية سنة 1239/637 (99) .

— ابن الأبّار : الحافظ الشاعر المؤرّخ (100) .

— ابن سعيد . الأديب المـؤرّخ (101) .

— ابن عـُميرة . الشاعر الـكاتب ، أحد أعلام شرقـي الأندلس ، تولى الـكتابة وقضاء كثير من مدن الأندلس قبل زحف ملك أراغون جاك الأوّل ، وتوفّي بتونس سنة 1260/658 (102) .

ومثل هؤلاء ممـن اضطرّ إلى مهاجرة مسقط رأسه الأندلس بدون رجعة إليه كثير . وقد رأيناهم إثر مفارقتهم له مقيمين إمّا بالمغرب بمرّاكش أو بإفريقيّة . وإمّا بالمشرق بسوريا أو بمصر أو بالحجاز . وهذا بدون شك عامل من عوامل انقراض الحياة الفكرية الإسلاميّة هناك . وهو مصير لم يحدث فجأة ، بل تدريجيـا . فقد لوحظ أنّ نشاطا نسبيـا بقـي عشرات السنيـن ملموسا في مراكز كثيرة بجنوبـي الجزيرة . وكان العلماء يجتمعون هنالك جادّين في درس كثير من العلوم والفنون وعاملين على بعث الحياة الفكرية والثقافية بتلك المراكز .

ومن بين المدن أو العواصم الثقافية التـي لا يجوز إغفالها في تلك الفترة : قرطبة وشـَريش ومالقة وغرناطة وبلنسية ومرسيّة وإشبيلية .

ففـي قرطبة اشتهر من القرّاء والمحدّثين في تلك الظروف :

— ابن الطليسان الأوسي ، المولـود سنة 1179/575 ، والمتـوفّى بمالقـة سنة 1244/642 . أخـذ عن ابن خَلَصة وأبـي القاسم بن جـُرج وابن أبـي زَمنين ، وهو صاحب مؤلّف كبير الأهمية في الحديث (103) .

(99) هو ابو العباس احمد بن محمد بن مفرج . راجع المقري : **النفح** ، (1) ، ١ 870 — 871 عـدد 218 .

(100) انظـر اعـلاه 34 .

(101) مثلـه .

(102) هو أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي . راجع برنشفيق ، ٢ ، 400 .

(103) هو القاسم بن محمد بن أحمد . راجع الرعيني، 27 عدد 10 ، السيوطي : **البغية** ، 380.

ومن الفقهاء والمحدّثين الذين عرفوا بها :

— ابن بقي ، المولود سنة 1142/537 ، والمتوفّى سنة 1227/625 . أخذ عن الخزرجي وابن بشكوال وابن سَحنون وآخرين . وهو معروف في ذلك العهد بميله إلى الظاهرية ، مذهب ابن حزم (104) .

ومن الفلاسفة والكتّاب والمحدّثين :

— ابن الربيع ، المولود سنة 1167/563 ، والمتوفّى بمالقة سنة 1242/640 . أخذ عن ابن بشكوال وابن طلحة وأبي زكرياء الأصبهاني وركن الدين الرُعيني وغيرهم . وقد ترك مؤلّفات في الأصول والكلام وما وراء الطبيعة (105) .

ومن الشعراء الممتازين الذين ظهروا بهذا المركز :

— ابن مَرْج الكُحل ، المتوفّى بشقر سنة 1236/634 (106) .

وبشَريش ظهر كثير من العلماء . من بينهم قرّاء ومحدّثون مثل :

— اللخمي ، المتوفّى سنة 1222/619 . أخذ عن التميمي ومظفّر ابن سوار واليسع (107) .

وأدباء ونحاة من أبرزهم :

— القَيسي ، المتوفّى سنة 1222/619 . أخذ عن الحجري والسكسكي وابن مقدام وابن الفخّار . وله مؤلّفات متنوّعة منها : **شرح الإيضاح** للفارسي ، وثلاثة **شروح لمقامات** الحريري ، **وتلخيص النوادر** للقالي (108) .

---

(104) هو أبو القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمان بن أحمد . راجع الرعيني ، 50 عدد 16 ؛ ابن الابار ، ١ ، 115 — 116 عدد 292 .

(105) هو أبو عامر يحي بن عبد الرحمن بن أحمد بن الربيع . راجع الرعيني ، 72 عدد 23 .

(106) هو محمد بن ادريس ، المعروف بمرج الكحل . راجع الرعيني ، 208 عدد 111 .

(107) هو ابو الحسن علي بن هشام بن الحجاج بن الصعب اللخمي. راجع الرعيني، 24 عدد 9.

(108) هو ابو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي . رجع الرعيني ، 90 — 91 عدد 33 .

وبمالقة تبرّز العالم النحوي :

ـ الرُّندى ، المتوفّى سنة 1219/616 . أخذ عن ابن الجدّ وابن زرْقون وابن بشْكوال والسّهيلي . وأقرأ العربيّة بمالقة . وله **شرح على الجمل** للزجاجي (109) .

وبغرناطة تعدّدت ألوان الثقافة وكثر رجالها . فيها من المحدّثين والكتّاب والشعراء جماعة من بينهم :

ـ سهل بن محمد ، المولود سنة 1163/559 ، والمتوفّى سنة 1241/639 . أخذ عن ابن حُبيش والسهيلي والقالي وابن مضاء . وأجاز كما أجيز كثيرا ، وترك آثارا أدبيّة متنوّعة شعريّة ونثريّة (110) .

ومن رجال الطبقات وأصحاب كتب التراجم :

ـ الملاّحي ، المتوفّى سنة 1222/619 . أخذ عن علماء كثيرين من المغاربة والمشارقة . ومن أبرز مؤلّفاته : كتاب الأسانيد المعروف واسمه **الأربعون** ، **وتاريخ علماء البيرة** ، **وشجرة الأنساب** (111) .

وببلنسيّة عرف المحدّث الشهير :

ـ الزّهرى . بها ولد سنة 1173/569 ، وكانت وفاته ببجاية سنة 645/ 1247 . أخذ عن أبي محمد بن عبيد الله وابن حُبيش وابن خير وغيرهم (112) .

وبمرسيّة اشتهر فقهاء ومحدّثون وشعراء من بينهم :

ـ الكلاعي . بها ولد سنة 1169/565 ، وتوفي ببلنسيّة سنة 1236/634 . أخذ عن ابن حبيش وابن الجد وابن زرقون . وله مؤلّفات عديدة ذكر جملتها أبو الحسن الرُعيني (113) .

---

(109) هو ابو علي عمر بن عبد المجيد بن عمر الرندى . راجع الرعيني ، 86 ـ 88 عدد 31 .

(110) هو ابو الحسن سهل بن محمد الغرناطي . راجع الرعيني ، 59 ـ 63 عدد 20 .

(111) هو ابو القاسم محمد بن عبد الواحد بن ابراهيم ، المعروف بالملاحي . راجع الرعيني ، 64 ـ 66 عدد 21 .

(112) هو القاضي ابو بكر محمد ، راجع الرعيني ، 100 ـ 107 عدد 80 .

(113) هو سليمان بن موسى بن سليم ، المعروف بابي الربيع الكلاعي . راجع الرعيني ، 66 ـ 72 عدد 22 .

ـ الطرّسوني ، المولود قبل عـام 1164/560 ، والمتوفّى بواقعة نبّوت سنة 1225/622 . أخذ عن ابن حميد وابن حُبيش وابن البراء والبوصيري . وهو واسع المعرفة في الأدب والعلوم العربية والشرعية والطب . أقرأ بمرسيّة الفقه زمنا (114) .

ومن النحاة والأدباء الذين ظهروا بهذا المركز أيضا :

ـ العَروضي ، المتوفّى سنة 1242/640 . أصله من الجزائر ، وقد أخذ عن كثير من علماء بجاية ، ثم ارتحل إلى الأندلس واستقرّ بمرسيّة إلى أن وافاه الأجل . وبها أقرأ الأدب والنحو (115) .

وبإشبيلية ، أعظم المراكز نشاطا بجنوبـي الجزيرة ، نلتقي في تلك الآونة بعلماء وأدباء كثيرين . من بينهم قرّاء ومحدّثون أمثال :

ـ السَّبْتي ، المتوفّى بوقعة قصر أبـي دانس سنة 1217/614 . أخذ عـن ابن أبـي هارون ونُجبة وابن الشرّاط (116) .

ـ القرطبـي ، المتوفّى سنة 1232/630 . أخذ عن ابن زرقون والخزرجـي وغيرهما . وأقرأ الحديث والفقه والقراءات كما وضع **تلخيصا لـكتـاب الاستذكار** لابن عبد البرّ (117) .

ومن الفقهاء المبرّزين بإشبيلية :

ـ ابن زرقون ، المولود سنة 1144/539 والمتوفّى سنة 1224/621 . أخذ عن ابن الجدّ ، وترك مصنفّات كثيرة من بينها : **أزهار السنن وإيضاح السنـن وتلخيصٌ لـكتاب الأموال** لابن عبيد (118) .

---

(114) هو ابو القاسم احمد بن محمد ، المعروف بالطرسوني . راجع الرعيني ، 163 عدد 84 ؛ السيوطي : **البغية** ، 157 ؛ ابن الابار ، ١ ، 113 .

(115) هو احمد بن هـلال ، المعروف بالعـروضي . راجع ابن الابار ، ١ ، 129 عدد 324 .

(116) هو ابـو بكر محمد بن عبد النور . راجع الرعيني ، 14 ـ 18 عدد 4 .

(117) هـو ابـو بكر محمد بن عبد الله . راجع الرعيني ، 11 ـ 14 عدد 3 .

(118) هو ابو الحسن محمد . راجع الرعيني ، 31 ـ 37 عدد 11 .

ومن المحدّثين والأدباء والنحاة الذين اشتهروا بسعة المعرفة ورسوخ القدم في العلوم العربية والإسلامية :

— ابن طلحة ، المولود بيابرة سنة 1150/545 والمتوفّى سنة 1221/618 . أخذ عن ابن صاف وابن ملكون . وتصدّر لتدريس فنون كثيرة . **فأقرأ الجمل** للزجاجي **والإيضاح** للفارسي **والأشعار الستّة** للأعلم **وأدب الكاتب** لابن قتيبة **وإصلاح المنطق** لابن السكيت **والفصيح** لثعلب **والحماسة** لأبي تمّام **والمقامات** للحريري وغيرها من الكتب (119) .

— ابن الدبّاج ، المولود سنة 1170/566 والمتوفّى سنة 1247/645 . أخذ عن ابن صاف ونُجبة وابن خروف وغيرهم (120) .

وبالرغم عمّا اشتهر به هؤلاء العلماء بإشبيلية من المكانة المرموقة بعين الاعتبار في العلم فإنّ منزلتهم لا تبلغ أبدا ما وصل اليه رجل الإسناد والعربية وإمام النحاة جميعا في ذلك العصر الشَّلَوبين . ولد أبوعلي هذا سنة 1166/562 وتوفي سنة 1247/645 . واخذ عن ابن الجَد وابن زرقون وابن حُبيش وغيرهم من الأعلام . وهو وإن كُتب له أن لا يُعرف بغير العربية التي واصل تدريسها وتلقين علومها وفنونها على مذهب أهل البصرة ستين عاما في المناطق الباقية تحت حكم الإسلام بالأندلس ، فإنّه من أولئك الأفذاذ الذين بثّوا في صدور الرجال العلوم والفلسفة التي تلقّاها عن شيخيه ابن رُشد وابن زُهر . وهو إلى ما عرف به من الإجازات ، التي أخذها عن مئات الرجال ، قد ترك مصنّفات هامة من أبرزها : **شرحان على الجزولية وتعاليق على كتاب** سيبويه ومقدّمة في النحو أسماها **التوطئة** . هذا وقد هرع اليه ، لتبحّره في العلوم وتمكّنه منها ، طلبة كثيرون من أطراف الأندلس ومن

(119) هو ابو بكر محمد الاموي . راجع الرعيني ، 79 — 80 عدد 27 .

(120) هو ابو الحسن علي بن جابر بن علي اللخمي ، المعروف بالدباج . راجع الرعيني ، 88 — 89 عدد 32 .

المغرب (121) . وهو ما يدعونا إلى العودة للحديث عنه عند الترجمة لحازم وبيان مراحل تكوّنه (122) .

ومّما قدمنا يتّضح أنّ المراكز العلمية التي سبقت الإشارة اليها متفاوتة الأهمية في تلك الفترة ، ومن أجل ذلك كان أعلاها درجة وأبعدها شهـرة ومكـانة ملتقى للطلاّب والعلماء والشيوخ .

حـــازم وبيئتــــه

في هذا الوضع الثقافي وفي تلك الظروف السياسية قصد محمد بن الحسن الأوسي مرسى قرطاجَنّة الروماني العتيق الواقع بالجنوب الشرقي مـن بـلاد الأندلس قرب مرسية . واستقرّ بعد ذلك به منتقلا إليه من سرقُسْطة مهد عائلته ومسقط رأسه . وقد كانت ولادته بها سنة 1159/554 ، ولمّا يفع أخذ عن خالد ابن أبي العافية وعن القاضي ابن أبي جمرة . واشتهر إثر ذلك بسعة المعرفة في العلوم الحديثية والفقهية وفي الأدب . وأسندت إليه في الثامن والثلاثين من عمره خطـة قضاء قرطاجَنّة ولزمها إلى أن وافـاه أجله سنة 1234/632 (123) . وفي هذا المرفـأ ، الذي اختاره مكانـا لإقامته ، ولد له ابنه الأكبر أبو علي الذي نعرض له عند الحديث عن بلاط الرشيد الموحّدي بمرّاكش (124) ، ثمّ ابنه حازم مترجمنا وذلك سنة 1211/608 . وقد اشتهر هذا الأخير بنسبته إلى مسقط رأسه حتى عرف بالقرطاجَنّـي (125) .

---

(121) هو ابو علي عمر بن محمد بن عمر الانسبيلي ، ويعرف بالشلوبين . راجع الرعيني ، 83 ــ 85 عدد 30 ؛ السيوطي : **البغية** ، 364 .

(122) انظـر اسفلـه 53 ــ 54 .

(123) راجع ابن الابـار ، ٢ ، 633 ــ 634 عدد 1650 .

(124) انظـر اسفلـه 58 س 17 .

(125) راجع السيوطي : **البغية** ، 214 .

وقد نشأ أبو الحسن حازم في وسط ممتاز ذي يسار . وقضى طفولته وشبابه في عيش رغد ، متنقّلا بين قرطاجنة ومُرسيّة كما تدلّ على ذلك مقاطيع كثيرة من **مقصورته** (126) . ولم يكن دائما منقطعا إلى لذائذ الحياة ومتعها موليًا وجهه قبلها ، بل كان إلى ذلك مقبلا على التعلّم جادًا في الدرس .وقد بدأ ككل الأطفال في عصره بحفظ القرآن وتخرّج في قراءته على شيوخ جلّة من قرّاء بلده . ووجد من والده خير ملقّن وموجّه لمعرفة العربيـة وتعلّم قواعدها والإلمام بطائفة من قضايا الفقه والعلوم الحديثيّة . ولمّا يفع أقبل مثل معاصريه ابن الأبّار (127) والمخزومي (128) على دراسة العلوم الشرعية واللغوية ، وكان ذلك يدعوه إلى التردّد باستمرار على مدينة مرسيّة القريبة منه للأخذ عن أشياخها أمثال الطرسوني والعروضي (129) . وهناك درس كثيرا من أمّهات الكتب حتّى فاق نظراءه . واكتملت عناصر ثقافته فكان فقيها مالكي المذهب كوالده ، نحويا بصريا كعامة علماء الأندلس ، حافظا للحديث ، راوية للأخبار والأدب ، شاعرا . ولم تقف به همّة البحث والدرس عند هذا الحدّ ، بل كان طموحه يدفع به إلى الاستزادة من ذلك والأخذ عن الأعلام المعروفين المقيمين بجنوبي الجزيرة . ودفعه توقه الشديد للمعارف إلى الذهاب إلى غرناطة وإشبيلية . فجمع من الأسانيد والإجازات ما جمع ، واتّصل آخر الأمر بشيخه الجليل عمدة الحديث والعربية الذي عرف بالانتساب اليه أبي علي الشلوبين (130) .

ومن المقدّر أنّ هذا الإمام لاحظ في مريده شيئا من الاستعداد للأخذ بالعلوم العقلية ، فلم يجعل منه راوية كابن الابّار ، أو لغويا نحويا فقط ، فيقتصر على تدريس **كتاب** سيبويه له ، بل حمله على الأخذ بالعلوم الحكمية الهيلينية ، ووجّهه إلى دراسة المنطق والخطابة والشعر (131) . وأعجب حازم

(126) انظر اسفله 82 ، 83 .
(127) انظر اعلاه 34 .
(128) انظر اعلاه 47 وتع . 102 .
(129) انظر اعلاه 50 .
(130) راجع مخلوف ، ١ ، 197 عدد 667 .
(131) لا شك في كون حازم قد درس بامعان كتاب **الشعر** لارسطو من خلال ترجماته الكثيرة . انظر اسفله 99 تع . 325 ، 326 .

بعلوّ منزلة أستاذه، وأكبر اتّساع معارفه. فأقبل على مطالعة ما أشار عليه به من مصنّفات شيخه ابن رشد (132)، وكتب غيره من الفلاسفة أمثال الفارابي وابن سينا. وقارب عدد شيوخ حازم حسب مقالة أبي حيان الألف (133)، لكنّنا لسوء الحظ لا نملك في ذلك برنامجا (134)، ولم توقفنا المصادر القليلة على أكثر ممّا وقعت الإشارة إليه منهم، فلا نقدر أن نعدّ، في هذا السلك بأسمائهم، غير والده والطرسوني والعروضي والشلوبين.

هجرة حازم إلى المغرب الأقصى

تعرّضت حياة حازم المتدفّقة جدّا ونشاطا لأحداث أليمة متوالية قطعتها. فلم يكد يبلغ العشرين حولا من عمره حتّى أصيب في والده الذي توفّي بمرسية سنة 1234/632 (135). وبعد ذلك بقليل، في السنة الموالية سقطت قاعدة الأمويين بالأندلس بيد النصارى، واحتلّ الأسبان قرطبة سنة 1236/633 (136). وتوالت إثر ذلك الفتن والمحن، وعرفت نفس المصير، على التعاقب، مدن بيّاسة سنة 1237/634. وبلنسيّة 1238/636، وشاطبة ودانية سنة 1240/638 (137).

وانطفأ الأمل الوحيد للمسلمين بالأندلس بموت ابن هود سنة 1237/635 (138). ولم يكن من آثار تلك الظروف والأحداث غير فزع المسلمين وانقسام جماعتهم: طائفة منهم تـكره ملك غرناطة ابن الأحمر، ولّت وجهها نحو الأمير الحفصي بتونس وبعثت إلى أبي زكريا الأول بسفارتها

---

(132) انظر اعلاه 51.

(133) انظر اعلاه 34 وتع 10.

(134) تطلق كلمة « البرنامج » على الكتاب الذي يضعه صاحبه للتعريف بشيوخه والترجمة لهم.

(135) راجع ابن الابار: **التكملة** ٢، 633 – 634 عدد 1650.

(136) انظر اعلاه 46.

(137) راجع عنان، 16.

(138) راجع عنان، 28.

مبايعة ومستصرخة (139)، وطائفة ترضى عن ملك غرناطة، شايعت الموحدّين، وقد كان على رأسهم يومئذ الخليفة الرشيد (140).

أمّا حازم فقد اضطرّ ككثير من مواطنيه إلى مفارقة وطنه ومسقط رأسه مهاجرا إلى المغرب. ولم نظفر فيما بين أيدينا من مراجع بتاريخ يحدّد هذه الهجرة، غير أنّه يمكن لنا أن نتوصّل إلى تقدير ذلك. فإذا فرضنا أن ذهابه إلى المغرب لم يكن إلاّ بعد موت والده ودخول النصارى قرطبة أي بعد سنة 1236/633، وأنّه من جهة ثانيّة لا يمكن أن يتأخّر سفره عن شهر شوال سنة 639 أفريل — ماي 1242 (141)، لأنّه في تلك الفترة قد كان حتما بتونس قاعدة الحفصيين كما سنبيّنه. فإنّ إقامته القصيرة بمرّاكش التي أشار إليها ابن رُشيد (142) وابن المرابط (143)، يمكن حصرها فيما بين سنة 633 — 639 / 1236 — 1242. ويكون خروجه إلى المغرب في أوّل تلك الفترة قبل موت الرشيد ممدوحه.

المغرب الأقصى في العهد الموحدي بين سنة 1236/633 وسنة 1242/638.

يبدو أنّ حازما لم يحسن الاختيار حين قصد إلى مرّاكش متّخذا منها في مهجره دار إقامة. فقد كانت الحياة بها مضطربة أيّ اضطراب. وهي لا تفضل من أيّ وجه الأندلس. لما كان يتنابها من حوادث وفتن. هي مدعاة في كلّ يوم للفوضى وألوان الفزع. فالسلطان الموحّدي آخذ في الأفول، سائرة أركانه إلى الانهيار. والخليفة الشاب الرشيد، الّذي لم يتجاوز سنة 1236/633 السابعة عشر من عمره، لم يكن ليجد في عهده استقرارا ولا أمنا. بالرّغم عمّا بذل يوم توليته من جهود لتدارك الوضع. وهو وإن أمّن

---

(139) راجع عنان، 32.

(140) مثلـه.

(141) في هذا التاريخ خرج ابو زكرياء الاول الى تلمسان. ولم يعد الى تونس اذ توفي في طريق رجوعه اليها. راجع برنشفيق، ۱، 31، 38.

(142) انظـر اعـلاه 36.

(143) انظـر اعـلاه 34.

أهل مرّاكش عند دخولها ، وشمل عفوه كثيرا من الموحّدين ، وأعاد ما أزاله المأمون والده من رسوم المهدي ابن تومرت وسنّته سنة 1234/632 في بدء ولايته (144) ، فإنّ خصمه المعاند يحيي بن ناصر ومن يظاهره من أهل الفتنة أمثال عمر بن أوقاريط شيخ هسكورة ومسعود بن حميدان أمير الخلط (145) لم يكفّوا عن مشاغبته ومقاومته . ونشأت عن ذلك فتن داخلية تمكّن بسببها أعداء الرشيد من الاستيلاء على مرّاكش قاعدة الخلافة الموحّدية . ولم يستطع الأمير قمع الفتنة ولا الرجوع إلى عاصمته وتطهيرها من خصومه وأتباعهم إلاّ سنة 1236/633 بفضل مساندة شيخ سفيان جرمون بن عيسى له (146) . وتفرّق إثر ذلك أعداؤه المتنمّرون . فالتحق ابن أوقاريط بالأندلس ، ولجأ يحيي بن ناصر إلى بني معقل أين اغتيل قرب تازة (147) . ولم يكن هذا المآل ليدلّ على انفراج الأزمة أو استقامة الأمر للموحّدين ، فإنّ عناصر بربرية أخرى – بني مرين من زناتة – تقاطرت من جهة وهران على المغرب الأقصى وتكاثرت به ، تكتسح أطرافه وتضيف إلى ما به من أدواء المجاعة والوباءشغبا آخر عجّل بسقوط الدولة الموحديّة وقيام الدولة الجديدة المرينيّة مكانها (148) . وقد أعانت على هذا أحداث كثيرة ، عرض لها الأستاذ شارل أندري جوليان بالشرح حين قال : « لقد كان لتفككّك السلطنة ، بسبب الهزائم في الأندلس ، ما أعان على حدوث بلابل وانتفاضات داخل المغرب . فأمير تلمسان يغمراسن بن زيان أعلن استقلاله ، مؤسّسا بهذه الصورة سنة 1235 – 1236 مملكة مستقلّة هي مملكة بني عبد الوادي . وبإفريقيّة انفصل الوالي الحفصي عن دولة الخلافة الموحديّة معلنا بذلك استقلاله (149) » . وقد ظهرت من سنة 1230/628 مناوأته للمأمون ولابنه من بعد الرشيد . فقد زحف على قسنطينة وبجاية وأخضعهما لطاعته ، وفي زمن قليل ، مثلما صرّح

---

(144) راجع الناصري ، ٢ ، 217 .

(145) راجع الناصري ، ٢ ، 217 – 218

(146) راجع الناصري ، ٢ ، 217 – 218 ، تراس ، ١ ، 356 س 2 – 4 .

(147) راجع الناصري ، ٢ ، 219 .

(148) راجع برنشفيق ، ١ ، 23 .

(149) راجع جوليان ، 120 .

به الأستاذ برنشفيق استطاع أبو زكريا الأوّل أن يجمع تحت سلطانه بلاد إفريقيّة وأطرافها ممّا عرف بعد ذلك بالبلاد الحفصيّة . وهو عبارة عن المناطق والجهات الممتدّة فيما بين بلاد القبائل الكبرى إلى حدود السرت . وقد أضاف إلى ذلك عاصمة الجزائر ، وخضعت له من القبائل بنو منديل وبنو تُوجين . وهكذا أصبح أكثر من نصف البلاد البربريّة خاضعا لرقابته أو تحت رئاسته المباشرة (150) ، ممّا جعل الدولة المومنيّة في عهد المأمون وابنه الرشيد ، وبالخصوص فيما بين سنة 1236/633 وسنة 1242/638 تمرّ بأيّام عصيبة سوداء .

هذا والجدير بالملاحظة أنّ الوضع السياسي القائم بالمغرب لم يكن ليحول في الواقع دون النشاط الثقافي والعلمي به . ذلك لأنّ الرشيد كان يولي هذا الجانب من الحياة في دولته عناية خاصة . وكان كثيرا ما يتردّد على فاس عاصمة الفكر الإسلامي ببلاده ليغدق على العلماء والأشراف من عطاياه ، فينيلهم أملاكا ورباعا (151) .

فمن بين العلماء والأدباء الذين ظهروا بتلك الفترة في المغرب الأقصى نجد فقهاء ومحدّثين وكتّابا وشعراء كثيرين .

فمن الفقهاء والمحدّثين :

— التازي ، المتوفّى سنة 1251/649 . أخذ عن ابن عبيد الله وابن جبير والخشني وابن مضاء وغيرهم (152) .

— ابن الكمّاد ، المتوفّى سنة 1264/663 . أخذ عن الخشني وابن بقي ، وعنه ابن الزبير (153) .

---

(150) راجع برنشفيق ، ١ ، 22 .

(151) راجع الناصري ، ٢ ، 219 ص 10 — 12 .

(152) هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الغافقي ، المعروف بالتازي . مخلوف ، ١ ، 186 عدد 618 .

(153) هو ابو اسحاق ابراهيم بن احمد . راجع مخلوف ، ١ ، 200 عدد 670 .

ومن المحدّثين وأصحاب التواريخ أو الطبقات :

— ابن فرتون ، المتوفّى سنة 1261/660 . أخذ عن الخشني وابن ملجوم والقرطبي ، وعنه ابن الزبير . ومن مصنفّاته تأليف استدرك فيه على السهيلي في كتاب **التعريف والأعلام** ، **والذيل على الصلة** (154) .

— ابن عبادة القلعي ، المتوفّى سنة 1257/669 . أخذ عن البزناسي والمليلياني ، وعنه الغبريني (155) .

ومن الخطباء والأدباء :

— المزدغي ، المتوفّى سنة 1257/655 . أخذ عن ابن أبي دُلف وابن زيدان ، وعنه العمراني . من مصنّفاته : كتاب في العقيدة وتفسير للقرآن وصل فيه إلى سورة الفتح (156) .

وإلى جانب هؤلاء المشاهير من العلماء نستطيع بفضل ابن رُشيد أن نذكر جمهرة من الشعراء عرفها بلاط الرشيد . وهي تتألّف من نجم الدين الحسني وابن القطّان والفزاري وابن الخنّاط والعُشبي وابن حجّاج وابن زغبوش والطّهري وابن زنّون وابن غالب وابن موسى والعراقي وابن هشام والجيّاني وابن أبي ثلاثة والمصانعي (157) .

وفي ضمن هؤلاء الرجال الذين لم نتوصّل بعد إلى التعريف بأكثرهم نجد حازما (158) وأخاه أبا علي الذي يبدو أسنّ من أخيه ، وإن كنّا لم نظفر عنه بمعلومات أخرى غير الأبيات التي نسبها إليه ابن رُشيد (159) .

(154) هو ابو العباس احمد بن يوسف . راجع مخلوف ، ١ ، 200 عدد 678 .

(155) هو ابو محمد عبد الله . راجع مخلوف ، ١ ، 200 عدد 680 .

(156) هو ابو عبد الله محمد بن يوسف ، عرف بالمزدغي . راجع مخلوف ، ١ ، 199 عدد 676 .

(157) وردت اسماء هذه الجمهرة من الشعراء بالوجه التالي : الشريف نجم الدين يونس بن عثمان الحسني ، ابو محمد الحسن بن ابي الحسن القطان ، ابو زكرياء الفزاري ، ابو عبد عبد الله ابن الخناط ، ابو الحسن العشبي ، ابو يوسف حجاج ابن حجاج ، ابو عبد الرحمن ابن زغبوش ، ابو محمد الطهري ، ابو الحسن ابن زنون ، ابو محمد ابن غالب ، ابو الحجاج ابن موسى ، ابو محمد العراقي ، ابو العباس ابن هشام ، ابو الحسن الجياني ، ابو علي ابن ابي ثلاثة ، ابو عبد الله محمد بن يوسف المصانعي . راجع ما اورده لهم من اشعار في **الرحلة** . ابن رشيد ، مخط . 1737 ، و . 106 ب س 7 — و . 109 أ س 4 .

(158) راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 ، و . 107 أ س 9 — و . 107 ب س 8 .

(159) راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 ، و . 107 أ س 5 — 8 .

ففي هذا الوسط الثقافي ظهر حازم حريصا على إرضاء ميوله الفكرية . لذلك نجده على اتّصال دائم بالنخبة من المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب، يشارك مشاركة هامّة في الحياة الأدبيّة بمرّاكش، أين كان يطمح إلى التفوّق بشعره . وعلاوة على السهرات والنوادي الأدبيّة التي كان يغشاها نلفيه ملازما لبلاط الرشيد منشدا إيّاه بديع مدائحه (160) .

خروج حازم إلى تونس

بالرغم عن حسن الوفادة والصلات الكثيرة التي كان يغدقها الرشيد على المهاجرين الأندلسيين لم يرض الكثير منهم بالاستمرار على البقاء في مرّاكش لما ينتاب المغرب الأقصى في تلك الظروف من اضطرابات سياسية عنيفة . وقد كانت الوجهة لرجال الفكر من هؤلاء المهاجرين الأندلسيين بجاية أو تونس ، لما يرجونه بالإقامة في إحداهما من عيش آمن ، يبعد بهم عن غوائل الدهر وعواقب الفتن والأحداث . وقد كان فيمن اختار هذا التحوّل ، وتقلّب في بلاد المغرب من أقصاها إلى أقصاها حتّى بلغ محطّ آماله تونس ، رجل في عنفوان الصحّة والشباب لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، هو حازم القرطاجنّي . والمظنون أنّه سافر وحده من مرّاكش إلى عاصمة الدولة الحفصية . وليس لنا لسوء الحظّ أيّ خبر عن أخيه أبي علي ، كما أنّ المصادر لم تفدنا شيئا عن وضعه العائلي الخاص به . ونحن ، وإن كنّا لا نستطيع تحديد الطريق التي سلكها في سفره من مرّاكش إلى تونس ، يجوز لنا أن نفرض ، من غير تأكيد ، أنّه توقّف قليلا ببجاية ، مثلما فعل عامّة المهاجرين . وفي تونس يبدو لنا حازم أوّل مرّة ، ممتطيا ناقته واصلا إلى باب القصبة بلاط الأمير الحفصي ، أين مثل بين يدي أبي زكرياء الأول وأنشد فيه قصيدته الطويلة الصادية التي أعلن فيها بيعته وطلب من الأمير حمايته واستصرخه مثل مواطنه ابن الأبّار لإنقاذ الأندلس المغلوبة المنكوبة (161) .

---

(160) راجع المقري : **الأزهار** ، ٢ ، 173 س 13 .

(161) راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 ، و . 40 أ س 13 – و . 42 أ س 2 .

الوضع السياسي والثقافي بإفريقيّة لعهد أبي زكرياء الأول وابنه المستنصر.

لم تعد الدولة الحفصيّة ، بضع سنين عقب انفصالها عن الموحّدين الذي تمّ تقريبا في حدود سنة 1230/628 ، تريد فقط صيانة استقلالها وسيادتها ، بل هي ، لوثوقها من مكانتها وصولتها في المغرب ، أصبحت تفكّر في مدّ نفوذها على ما وراء بلاد إفريقيّة (162) .

ولذلك ، عند موت الرشيد وتولّي أخيه السعيد مكانه ، خرج أبو زكرياء ، حفيد أحد رفاق المهدي بن تومرت الملازمين له وأخصّ أتباع مذهب الموحّدين ، يريد المغرب . وتوّا استولى على تلمسان ، وأخضع له كامل غربي بلاد الجزائر (163) . وقد كان من أمله أن يبعث الدولة الموحّدية بإفريقيّة حين أخذ نجمها في الأفول ببلاد المغرب الأقصى (164) . وأمام انتصاراته الباهرة أعلنت مدن كثيرة من الأندلس والمغرب بيعتها لأبي زكرياء ، ونادت به أميرا عليها . فدخلت في طاعته إشبيلية وشريش وطريف (165) ، وغلبت الدعوة الحفصية في شمالي المغرب ، وكان لها رواج عظيم بالقصر الكبير وسبتة (166) . وقد قضى هذا الأمر على الدولتين النصرية والمرينية فيما بعد بالاعتراف بسيادة الأمير الحفصي على شمالي بلاد المغرب الأقصى (167) . وبهذه الصورة أصبح أبو زكرياء أقوى الأمراء نفوذا وسلطانا في شمالي افريقيا . ولمّا توفي بعنابة في 25 جمادى الثانية 647 ـ أكتوبر 1249 ولي مكانه ابنه أبو عبد الله محمد وتلقّب بالمستنصر (168) .

(162) راجع برنشفيق ، ١ ، 32 .
(163) راجع برنشفيق ، ١ ، 34 .
(164) راجع برنشفيق ، ١ ، 22 .
(165) راجع برنشفيق ، ١ ، 33 – 34 .
(166) راجع برنشفيق ، ١ ، 34 .
(167) مثلـه .
(168) برنشفيق ، ١ ، 39

وبدأت تظهر في أوائل القرن السابع / الثالث عشر، أوّل ولاية أبي زكرياء بتونس عاصمة الحفصيين الناشئة، ثلّة من رجال الفكر والأدب أمّت هذه المدينة من مختلف أنحاء الأندلس.

فقد قصد إليها من بَلنسيّة ابن الأبّار (169)، على رأس السفارة التي أقبل فيها في ربيع سنة 1238/635 من قبل زيّان بن مردنيش إلى أبي زكرياء حين حاصر بلنسيّة الملك الإسباني جاك المعروف بالغازي. وحين مثل بين يدي الأمير الحفصي أنشد ابن الأبّار قصيدته السينية العجيبة فزعا مستصرخا (170).

وإلى جانب هذا الأديب الشاعر والحافظ المحدّث الذي ولّي رئاسة ديوان الكتّاب لأبي زكرياء (171) يمكن أن نذكر من محدّثي وفقهاء بلنسيّة الذين وردوا على تونس مهاجرين إليها:

— ابن الغمّاز قاضي تونس، ولد ببلنسيّة سنة 1212/609 وتوفي بتونس سنة 1295/693. أخذ عن ابن محرز وابن عميرة والكلاعي وابن السرّاج وغيرهم، وعنه أبو الحسن التجاني والغبريني وابن جابر الوادي آشي (172).

— الخلاسي، المولود ببلنسيّة سنة 1213/610 والمتوفّى بتونس بعد سنة 1286/685. أخذ عن الكلاعي وغيره من علماء المشرق والمغرب، وعنه ابن رُشيد (173).

— ابن ديسم، المولود ببلنسيّة سنة 1218/615 والمتوفّى بتونس سنة 692 / 1292 — 1293 (174).

---

(169) انظر اعلاه 34.

(170) برشفيق، ١، 32. يتألف قصيد ابن الابار من 67 بيتا. اورد نصه المقري: **الازهار**، 3، 207 — 210.

(171) برشفيق، ١، 38.

(172) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز البلنسي الخزرجي. راجع ابن رشيد، مخط. 1737، 15 ب؛ مخلوف، ١، 199 عدد 673.

(173) هو أبو الحسن عيسى ابن أبي محمد بن الحسين بن خلف بن ايوب ابن ديسم البلنسي. و. 45 ب وما بعدها.

(174) هو أبو الحسن عيسى ابن أبي محمد بن الحسين بن خلف بن ايوب ابن ديسم البلنسي. راجع ابن رشيد، مخط. 1737 و. 63 أ وما بعدها.

ومن مُرسيّة هاجر إلى تونس كثير نذكر من بينهم :

— ابن بُرطلة الأزدي ، المولود حوالي سنة 1184/580 والمتوفّى بتونس سنة 1262/661 . أخذ عنّ ابن المرأة وابن عات والكلاعي . وهو الذي رأس الوفد المكّي الذي قدم إلى تونس سنة 1258/657 — 1259 مبايعاً المستنصر خليفة وأميراً (175) .

— ابن حَبيش اللخمي ، الفقيه المحدّث الشاعر ، المولود بمرسية سنة 1218/615 والمتوفّى بتونس سنة 1286/685 . أخذ عن ابن الوليّ والسّرفا وابن محرز والوزير سهل بن مالك وابن السداد وغيرهم . ولّي قضاء مرسيّة ، وتنقّل بين كثير من مدن الأندلس والمغرب . هاجر أولاً إلى بجاية ومنها انتقل إلى تونس ، ووليّ بها القضاء (176) .

— القمجي ، المحدّث الشاعر . ولد ببني قَمج من أعمال مرسية سنة 1213/610 وتوفي بتونس سنة 1285/684 (177) .

— ابن رَزين ، ولد بمرسيّة وفارقها إلى سبتة قبل عام 1242/640 . ومنها انتقل إلى بجاية ثم إلى تونس . أخذ عن ابن نبيل وابن أبي السداد (178).

— ابن الاندراس ، من أشهر أطبّاء المستنصر (179) .

وورد على تونس من إشبيلية علماء كثيرون منهم :

— ابن سيّد الناس، فقيه ومحدّث، توفّي بتونس سنة 1358/659/657—1261 . أخذ عن ابن خروف وابن جبير وغيرهما من العلماء ، وعنه ابن الزبير وابن بكر (180) .

---

(175) هو أبو محمد عبد الحق . راجع مخلوف ، ١ ، 196 عدد 662 .

(176) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن يونس بن بحر بن غالب بن حبيش . راجع ابن رشيد ، مخط . 1736 ، و . 1 أ وما بعدها ، مخط . 1737 ، و . 33 ب وما بعدها .

(177) هو أبو البركات موسى ابن ابي محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد . راجع ابن رشيد ، مخط . 1736 ، و . 34 أ وما بعدها .

(178) هو أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن رزين . راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 ، و . 64 أ وما بعدها .

(179) هو أبو عبد الله محمد ابن الاندراس ، راجع برنشفيق ، ٢ ، 370 .

(180) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله . راجع مخلوف ، ١ ، 194 — 195 عدد 657 .

— ابن عصفور ، النحوي الشهير . ولد سنة 1201/597 وتوفي بتونس سنة 1270/669 . أخذ عن الشلوبين وعن الكتّاني . ومن تآليفه المعتبرة في العربية : **المغرب والممتع** في الاشتقاق ، **والمقرّب** في النحو (181) .

— ابن القصير ، من أخصّ شعراء المستنصر . له فيه مدائح كثيرة (182) . وهو معروف بصلاته مع رجال البلاط ، وبالخصوص مع الوزير ابن أبي الحسين العنْسي .

— ابن الرومية ، الطبيب والعالم النباتي (183) .

وورد من شاطبة عدد كبير من الشخصيات المعتبرة مثل :

— الخزرجي ، المتوفّى بتونس 1291/691 — 1292 . وهو من شيوخ الغبريني . ولّي قضاء بجاية ثم تونس ، وذهب إلى مصر في سفارة بعثه على رأسها أمير إفريقيّة إلى السلطان المملوكي لذلك العهد (184) .

— ابن حيّان ، المحدّث والشاعر . ولد بشاطبة سنة 1237/635 ، وتوفي بتونس بعد سنة 1285/684 . أخذ عن كثير من شيوخ الأندلس والمغرب لعهده (185) .

— ابن عُقاب ، المحدّث ، ولد سنة 1216/613 . أخذ عن جماعة من العلماء نقبهم على التوالي بشاطبة وغرناطة ومرّاكش (186) .

وممّن ورد من غرناطة ، آخر قواعد الإسلام بالأندلس :

— ابن سعيد ، الكاتب المؤرّخ الشاعر (187) .

---

(181) هو أبو الحسن على بن موسى ابن المضرمي . راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 ، و . 89 أ . وما بعدها ؛ مخلوف ، ١ ، 197 عدد 665 .

(182) هو أبو العباس أحمد بن القاسم . راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 ، و . 96 أ وما بعدها .

(183) انظر اعلاه 47 .

(184) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي . راجع مخلوف ، ١ ، 198 ، عدد 671 .

(185) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن حيان الانصاري الشاطبي . راجع ابن رشيد ، مخط . 1736 ، و . 20 ب وما بعدها .

(186) هو أبو يعقوب بن ابراهيم بن أحمد بن محمد ابن عقاب الجذامي . راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 ، و . 25 أ وما بعدها .

(187) انظر اعلاه 34 ، 47 .

ـ الغرناطي ، الفقيه المؤرّخ ، المتوفّى بتونس سنة 1292/692 ـ 93 . تصدّر للتدريس بعاصمة الحفصيين ، فأقرأ بها العلوم الإسلامية . وممّن أخذ عنه الغبريني . وله مؤلّفات كثيرة من أهمّها : تفسير للقرآن ، وكتاب له في الطبقات أسماه **المشرق في علماء المغرب والمشرق** (188) .

وإلى جانب هؤلاء المهاجرين الكثيرين من العلماء الأندلسيين يمكن أن نذكر من الواردين من شقر ابن عميرة المخزومي (189) .

ومن لبلة ابن يوسف اللبلي ، المؤرّخ اللغوي النحوي ـ المولود سنة 1216/613 والمتوفّى بتونس سنة 1291/691 ـ 1292 . أخذ عن الشلوبين والأعلم البطليوسي وابن لب . وترك تآليف كثيرة من بينها : **وشي الحلل** الذي تعقّبه حازم (190) .

ومن الواردين على تونس من مالقة الطبيب والعالم النباتي ابن البيطار . وهو صاحب مصنّفات كثيرة ، نُشر وترجم أهمها إلى اللغة الفرنسيّة (191) .

ومن بيّاسة نذكر الأنصاري المؤرّخ ، المتوفّى بتونس سنة 1255/653 . وهو صاحب تأليف ، تحدّث فيه عن الحروب الداخليّة في بلاد الإسلام إلى عهد هارون الرشيد (192) .

وممّن يذكر من العلماء الوافدين على تونس ممّن خفيت عنا نسبتهم إلى جهات إقامتهم الأصلية ونشأتهم بالأندلس ابن الحاج المتوفّى بتونس بعد سنة 1285/684 ، أخذ عن النباتي والشلوبين وابن الدبّاج وغيرهم (193) .

---

(188) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله القرشي الغرناطي . راجع مخلوف ، ١ ، 199 عدد 672 .

(189) انظر أعلاه 47 .

(190) هو أبو العباس أحمد بن يوسف الفهري اللبلي . راجع ابن رشيد ، مخط . 1736 ، و . 27 أ وما بعدها ، 1737 ، و . 63 أ .

(191) راجع برنشفيق ، ٢ ، 370 .

(192) هو أبو الحجاج يوسف بن محمد الانصاري البياسي . راجع برنشفيق ، ٢ ، 384 .

(193) هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن لب التجيبي ، المعروف بابن الحاج . راجع ابن رشيد . مخط . 1730 ، و . 10 أ وما بعدها .

وتضاف إلى هذه القائمة شخصيات كثيرة أخرى وفدت على تونس من شريش وبطرنة وطرطوشة وشلب ، يمثّل جميعها مع من تقدم ذكرهم نخبة العلماء والأدباء الأندلسيين الذين شاركوا بقسط وافر في بناء الحياة الثقافية بإفريقيّة (194) . وإليهم وإلى علماء تونس في صدر الدولة الحفصيّة يعود فضل نشر العلوم الدينية والحديثية واللغوية والأدبية . وممّا امتاز به المهاجرون الأندلسيون في تلك الفترة تلقينهم الطلاّب مناهج الدرس وفنون الأدب من ترسّل وشعر على نحو ما كان عليه جميع ذلك في البلاد الأندلسية . وهكذا تخرّج على هؤلاء وأولئك عدد كبير من العلماء والشعراء التونسيين .

فمن المحدّثين والفقهاء :

— ابن البراء ، المولود بالمهدية سنة 1184/580 والمتوفّى بتونس سنة 1278/677 . أخذ عن الهمذاني والسِلَفي . وعنه ابن الجبّار (195) .

— ابن الصائغ ، قاضي تونس (196) .

— الرُعَيني ، المولود بسوسة سنة 1171/567 — 1172 والمتوفّي بتونس سنة 1263/662 — 1264 . أخذ عن ابن الحدّاد والمازري ، وعنه ابن بزيزة (197) .

— ابن نفيس ، قاضي تونس ، المتوفى سنة 1283/682 (198) .

— ابن الخبّاز ، قاضي تونس . من مواليد المهدية في سنة 1203/600 — 1204 . أخذ عن البرقي وابن البراء (199) .

---

(194) توجد **برحلة** ابن رشيد ترجمات كثيرة لعدد من الرجال الواردين من المدن المذكورة اعلاه بالاندلس على تونس . راجع ابن رشيد . مخط . 1736 ، 1737 .

(195) هو أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي المهدوي . راجع مخلوف ، ١ ، 191 عدد 640 .

(196) هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي التوزي . راجع مخلوف ، ١ ، 189 عدد 631 .

(197) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي . راجع مخلوف ، ١ ، 190 عدد 637 .

(198) هو أبو زيد عبد الرحمن بن نفيس . راجع مخلوف ، ١ ، 191 عدد 643 .

(199) هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الخباز اللواتي . راجع مخلوف ، ١ ، 192 عدد 644.

— ابن زيتون ، قاضي تونس . ولد عام 1224/621 وتوفي سنة 691/ 1291 — 1292 . أخذ عن الرُعَـيْنـي وابن البراء (200) .

ومن الفقهاء والمحدّثين والشعراء :

— ابن بزيزة ، المولود بتونس سنة 1209/606 ، والمتوفّى سنة 1263/662 — 1264 . أخذ عن الرُعَيْني والبرجيني وابن البراء . ترك مصنّفات كثيرة في التفسير والفقه والكلام . ومن تآليفه : **شرحه** لكتاب **الإرشاد** لإمام الحرمين عبد الملك الجويني (201) .

— ابن عريبة ، المولود بالمهدية سنة 1203/600 — 1204 ، والمتوفّى بتبرسق سنة 1260/659 — 1261 . أخذ عن البرقي . وله مصنّفات حديثية وأدبية (202)

ومن الفقهـاء والأدباء :

— ابن الشبّاط . ولد بتوزر سنة 1219/616 وتوفي سنة 1282/681 . له **تخميس وشرح على قصيدة الشقراطسي اللاميّة** (203) .

ومن الفقهـاء والشعـراء :

— الليّاني ، تلميذ البرقي ، ومؤلّف **شرح على المدونة** (204) .

— ابن أبـي الدنيا ، المولود بطرابلس سنة 1209/606 والمتوفّى بتونس سنة 1285/686 . أخذ عن الصابونـي وعن كثير من المشارقة أمثال ابن عطاء الله والصفراوي والربعي وابن عبد السلام ، وعنه أبو فارس الطرابلسي وابن القدّاح والغبريني وابن جماعة . ولّي قضاء تونس سنة 1272/671 .

---

(200) هو تقي الدين ابو القاسم وابو احمد بن ابي بكر ابن مسافر . راجع مخلوف ، ١ ، 193 عـدد 650 .

(201) هو أبو محمد عبد العزيز بن ابراهيم القرشي التميمي التونسي . راجع مخلوف ، ١ ، 190 عدد 638 ؛ برنشفيق ، ٢ ، 376 .

(202) هو ابو عمرو عثمان بن عتيق القيسي المهدوي، المعروف بابن عريبة. راجع مخلوف، ١، 189 عدد 633 .

(203) هو أبو عبد اللـه محمد بن علي المصري التـوزري المعـروف بابن الشباط . راجـع مخلوف ، ١ ، 191 عدد 642 .

(204) هو أبو العباس أحمد بن عثمان اللياني ، نسبة الى قرية قرب المهدية . راجع مخلوف ، ١ ، 149 عدد 632 .

وله مصنفّات عديدة منها : **العقيدة الدينيّة** ، وشرحها **جلاء الالتباس** ، ورسالة فقهية في **القياس** (205) .

ـ ابن الصماط، المولود سنة 1226/623 والمتوفّى سنة 1291/690 . أخذ عن البرقي (206) .

ومن الشعـــراء :

ـ ابن الفكـون القسنطيني الأصل (207) .

ومن النحاة والفلاسفة والمؤرّخين والأدباء:

ـ التجاني . تخرّج على عامّة شيوخ تونس في تلك الفترة وبخاصة على حازم القرطاجنّي . وتحصّل على إجازات عدد كبير من علماء المشرق والمغرب . وكان ابن رُشيد صديقا ملازما له أيام إقامته بتونس . له مؤلّفات عديدة منهـا : كتاب في التراجم أسماه **حشر الأمم الخالية ونشر الرمم البالية** ، وبرنامج دعاه **بالحلل المضمّخة في حلى المشيخة** ، ومصنّف ترجم فيه لآل بيته من العلماء والأدباء يعرف **بالحلى التجانية** (208) .

ومن المؤرّخين والجغرافيين :

ـ الغسّاني ، كاتب المستنصر ومؤرّخ عصره بدون نزاع (209) .

ـ ابن الدبّاغ ، المولود سنة 1208/605 والمتوفّى سنة 1399/699 . وهو صاحب **معالم الإيمان** ، ترجم فيه لعلماء القيروان (210) .

---

(205) هو أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي. راجع مخلوف ، ١ ، 192 عدد 645 ؛ برنشفيق ، ٢ ، 376 .

(206) هو أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد الملك بن الصماط البكري المهدوي . راجع مخلوف ١ ، 192 عــدد 647 .

(207) هو أبو علي حسن بن الفكون . راجع برنشفيــق ، ٢ ، 408 .

(208) هو أبو الفضل محمد بن علي بن ابراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني . راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 ، و ، 4 ب وما بعدها ، وفي ترجمة قريبه الرحالة ابي محمد عبد الله . راجع مخلوف ، ١ ، 206 عدد 716 ؛ التجاني .

(209) هو ابو العباس احمد الغساني . راجع برنشفيق ، ٢ ، 393 .

(210) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد السلام الاسيدي القيرواني. راجع مخلوف ، ١ ، 193، عدد 651 ؛ برنشفيق ، ٢ ، 383 .

ومن اللغويين والنحـاة :

– ابن أبي الحسين ، وزير المستنصر ، ومختصر معجم ابن سيدة (211) .

– الحِميري ، كاتب أبي زكريـاء وأمين سرّ ولده المستنصر (212) .

ومن العلمـاء الرياضيين :

– ابن الـكمّاد ، صاحب الجداول الفلـكيّة التي حرّرها وضبطها اعتمادا على بحوث ودراسات ابن الزركـلاء الأندلسي (213) .

في هذا المحيط الثقافي كان استقرار حازم . وفيه بذل الجهود من أجـل تـكوين نخبة ممتازة من العلماء والأدباء . وقد كان لذلك كبير الأثر في نشر المناهج الأندلسية ، فإنّ المهاجرين لم يفتؤوا في بلاد المغرب عامّتها يذكون الحياة الفـكرية ويبعثـون النشاط العلمـي والأدبي بهـا ، بتلقيـن الناشئيـن والمتخرّجين طرقهم وأساليبهم ، وحمل العلماء والأدباء على الأخذ بمذاهبهم واستملاح أذواقهم .

وفتن هذا المتعصّبين ، وغاض الحسّاد من رؤساء وعلية رجال الدولـة الحفصيّة . ولما حرص عليه هؤلاء من حماية مراكزهم الاجتماعـية ، ولما هالهم من المزاحمة الثقافية والسياسية أخذوا يمكرون ويحوكون الدسائس والسعايات حول المهاجرين الأندلسيين . وقد صوّر المقرّي المكائـد التـي لفّقها والطريقة التـي دبّرها أحمد الغسّانـي للقضاء نهائيا على مزاحمه ابن الأبّار، لاسترجاع مكانته على رأس ديوان الـكتّاب (214) . وكان ذلك تخويفا وتحذيرا لـكثير من المهاجرين ، لـكنّه لم يمنع حازما ، بالرغم عمّا حكـاه عنه ابن الخطيب (215) ، من الحيطة للأمر وبذل الجهد لاحتلال المكانـة

---

(211) راجع برنشفيق ، ٢ ، 399 وتع . I .

(212) هو أبو العباس احمد بن عبد الله بن عبد النور المازري الحميرى التونسي . راجع ابن رشيد ، مخط ، 1735 ، و . 32 أ ، وما بعدها ؛ برنشفيق ، ٢ ، 399 وتع . I .

(213) راجع برنشفيق ، ٢ ، 369 .

(214) راجع المقري : **الأزهـار** ، ٣ ، 206 .

(215) راجع ابن الخطيب ، 208 .

المرموقة في بلاط المستنصر . وذلك بفضل سلوكه وحسن سيرته . وقدّر الأمير مواهبه، وجعله موضع ثقته، فأدخله ديوان الإنشاء (216). وكلّمه بالنظر في الكتاب الذي رفعه إلى سدّته اللبلي (217). وتميّز أبو الحسن في هذا الوسط، وفرض نفسه بعلمه ومواهبه، وسار ذكره في الآفاق، ووصلته من المشرق إجازات مثل إجازة ابن العمادية (218) الذي نوّه بشأنه ووصفه بصدر الأفاضل والإمام السيد (219). وتبوّأ حازم منزلة الشيوخ، وكان من المسيّرين للحياة العلميّة في عهده. فأشفق من صراحته بعض الطلاّب والعلماء أمثال اللبلي وابن عصفور (220)، وبالغ في تقديره وتعظيمه آخرون غيرهم كما يشهد بذلك ابن رُشيد (221). فهو المرجع في العربيّة والعروض والبلاغة في زمانه. تخرّج عليه الكثير، ولكنّ قلّة المصادر التي بين أيدينا لم تسمح لسوء الحظ بأن نعدّ منهم إلاّ الرجال الآتية أسماؤهم :

- أبو حيان الأندلسي (222) .
- ابن سعيد (223) .
- ابن رُشيد (224) .
- أبو الحسن التجاني (225) .
- أبو الفضل التجاني (226) .
- اللبلي (227) .

---

(216) راجع ابن رشيد، مخط . 1735، و . 36 أ س 3 وما بعده .

(217) انظر اعلاه 41 .

(218) هو ابو المظفر وجيه الدين منصور بن سالم بن منصور بن الفتوح الهمداني، المعروف بابن العمادية الاسكندري . محدث، ولد سنة 1276/607 . وتوفي سنة 1276/673 . راجع السبكي : **الطبقات**، ٥، 157 .

(219) راجع ابن القاضي، 137 عدد 381 ؛ المقري : **الازهار**، ٢، 171 .

(220) انظر 64، 87 .

(221) راجع ابن رشيد، مخط . 1737، و . 40 أ س 20 وما بعده .

(222) انظر اعلاه 34 .

(223) انظر اعلاه 34، 47 .

(224) انظر اعلاه 35 .

(225) انظر اعلاه 35 . راجع ابن رشيد، مخط . 1737، و . 117 أ س 4 ـ 10 .

(226) انظر اعلاه 35،36 .

(227) انظر اعلاه 64 .

ويضاف إلى هؤلاء الأعلام المشاهير بالمشرق والمغرب جماعة منهم :

— الكتاني ، تلميذ حازم وابن عصفور وابن الغماز . كان كاتب أبي فارس بن ابراهيم بن أبي زكرياء ورافقه في خروجه إلى قسنطينة وبجاية . وعنده كانت مجموعة جميع تحارير حازم ومؤلفاته (228) .

— ابن راشد القفصي ، الفقيه الأصولي المتوفى بتونس سنة 1335/736 . أخذ عن ابن الغماز وحازم وابن التنسي وابن دقيق العيد وغيرهم من العلماء المغاربة والمشارقة ، وعنه ابن مرزوق . ولي قضاء قفصة . وله مصنفات عديدة منها في الأصول والفقه : **الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب** ، و**الفائق في الأحكام** ، و**المذهب في ضبط قواعد المذهب** ، وله في النحو **المرتبة السنية في علم العربية** (229) .

— ابن القويع ، الفقيه النحوي البلاغي . أخذ عن أبي الحسن التجاني وعن حازم ، وشهد بأن فضل تكونه في علم البلاغة راجع إلى كتاب حازم **المنهاج**. رحل إلى مصر وبها أقرأ ، وولي كثيرا من الوظائف السنية (230) .

ومع من ذكرته من تلامذة حازم هناك جماعات اغترفت من فيض علمه بمطالعة كتبه والوقوف على آثاره (231) .

هكذا كانت حياة حازم حافلة بالأدب والعلم ، زاخرة بالنشاط الفكري في كل مكان حل به من بلاد الأندلس والمغرب وإفريقية . ويؤسفنا جدا أننا لا نملك بيانات عن أواخر عمره المبارك ، غير كونه العمدة والمرجع في العلم

(228) هو ابو العباس احمد بن يوسف بن يعقوب الكتاني التونسي . راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 و . 89 أ وما بعدها .

(229) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد القفصي . راجع **مخلوف** ، ١ ، 207 عدد 722 .

(230) هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن ، المعروف بابن القويع . راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 ، و . 116 وما بعدها ؛ وبالخصوص **البغية** ، 97 — 98 ، فان السيوطي لم يذكر اخذه عن حازم .

(231) يفسر هذا ما قاله ابن القويع بافريقية والزركشي بمصر عن كتابه **المنهاج** . راجع في هذا الغرض مقالتي الكاتبين العالمين في ابن رشيد ، مخط . 1737 ، و . 117 أ ؛ وعند الزركشي : **البرهان** ، ١ ، 311 س 3 — 5 ؛ وفي م. ملاحظة 393 .

بتونس لعهده . فقد قال التجاني تلميذه: « كان أبو الحسن حامل راية الأندلسيين » (232) .

وقد عمّر حازم وكانت له علاقة مع بعض الأمراء الحفصيين بعد المستنصر ، منهم أبو يحي الواثق (233) . وكانت وفاته ليلة السبت 24 رمضان سنة 23/684 نوفمبر 1285 (234) . عن ست وسبعين سنة قضاها في البحث والدرس . ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا أي تفصيل عن قبره أو مكان دفنه .

---

(232) راجع ابن رشيد ، مخطط . 1737 و ، 40 أ س 20 .

(233) راجع المقري : **الازهار** ، ٣ ، **173 س** 15 .

(234) راجع السيوطي : **البغية** ، 214 ؛ الزركشي : **التاريخ** ، 41 س 11 ؛ المقري : **النفح** ، (1) ، ١ ، 866 .

مصنفات حازم

تنقسم مصنّفات حازم أقساما ثلاثة متباينة الموضوع : قسم منها أدبي يتمثّل في نظم حازم وما أمكن جمعه أو الوقوف عليه من أشعاره ، وقسمان علميان أولهما في النحو وثانيهما في البلاغة والنقد .

أ ــ القسم الأدبي : الآثار الشعرية

رأينا حازما ، منذ شبابه ، كلفاً بنظم الشعر، يرفع به مدائحه إلى الأمير المؤمني الموحّدي الرشيد (235) ، ثم إلى عدد من رجال البيت الحفصي (236) . والغالب على الظنّ أنّ أشعار حازم لم تجمع في ديوان قط . هذا وقد أمكن العثور على مخطوطتين بمكتبة الأسكوريال تحتفظان له بمقدار من هذه الأشعار . وفعلا فإنّ المخطوطة ــ الأولى رقم 382 تحتوي علاوة على **المقصورة** في القسم الثاني منها المتألّف من ثمان وثلاثين ورقة على قصائد في المديح ، يخاطب بها حازم المستنصر بالله الحفصي أو بعض رجال بلاطه (237) . أمّا المخطوطة الثانية رقم 454 ، فهي تحتوي في القسم الثاني أيضا ــ المشتمل على تسعة عشر ورقة ــ على قصائد تختلف في معظمها عن القصائد التي أشرنا إليها في المخطوطة الأولى (238) . ومن غير دراسة تحليليّة وبحث دقيق لمحتوى هاتين المخطوطتين تكون معرفة آثار الشاعر دائما محدودة غير تامة ، ذلك لأنّنا لا نعرف آثاره اليوم إلاّ من خلال النصوص التي أوردها له ابن سعيد وابن رُشيد والتجاني والصفدي ثم

---

(235) انظر اعلاه 59 .

(236) انظر اعلاه 59 ، 71 .

(237) راجع ديرامبورغ ، ١ ، 251 ؛ كازري ، 112 ــ 113 عدد 380 .

(238) راجع ديرامبورغ ، ١ ، 299 ؛ كازري ، 132 عدد 452 .

المقرّي(239) ، أو من خلال قصيدته الشهيرة **المقصورة** التي سوف نتناولها بشيء من العناية في دراسة آثار الشاعر . ومن الجدير بالملاحظة ، أنّ القطع الشعرية والقصائد التي تضمنتها لحازم المراجع المذكورة أعلاه متنوعة بين صوفيّة ووصفيّة وهزليّة وصناعيّة بلاغية وجديّة .

فمن أشعاره الصوفية قصيدته التي نظمها على رويّ الكاف من بحر البسيط والتي طالعها :

سبحان من سبّحته الشهب والفلك   والشمس والبدر والإصباح والحلك

ذكر منها ابن رُشيد في رحلته ستة وعشرين بيتا ، وأشار إلى أنّ حازما أراد بها معارضة قصيدة شيخه الطرسوني التي طالعها :

إنّي بحبلك يا ذا العرش ممتسك   ولي ببابك مرتاد ومبترك

ولم يذكر من هذا الأصل إلاّ الأبيات الستّة الأولى (240) .

ومن الأشعار الوصفيّة نذكر لحازم قصيدة ومقاطيع . أورد القصيدة بأكملها المقرّي وهي من بحر الكامل على رويّ الجيم في اثنين وثلاثين بيتا وطالعها :

أدر المدامة فالنسيم مسوّرج   والروض مرقوم البرود مدبّج (241)

فمن البيت الأول إلى البيت الرابع عشر : يصف الشاعر الطبيعة ويتخلّص من ذلك إلى الدعوة للمنادمة .

ومن البيت الرابع عشر إلى العشرين : ينتقل إلى وصف حبيبته .

---

(239) صدر بعد مناقشة الاطروحة مجموع شعر لحازم بعنوان ديوان ، اثبت به ناشره الكعاك عددا من قصائد القرطاجني المبثوثة هنا وهناك . وقد ضم اليها في آخر المجموع **القصيدة النحوية** التي نعرف بها فيما بعد .

(240) طالع قصيدة حازم هذه مثبت في آخر المخطوط المحتفظ به في الاسكوريال تحت عدد 382. وتوجد القصيدة باكملها مع الابيات الاولى من قصيدة الطرسوني في **رحلة** ابن رشيد . انظر اعلاه 36 وتع 30 ؛ **الديوان** ، 85 عدد 31 .

(241) المقري : **الازهار** ، ٣ 174 س 11 ـ 176 س 6 ؛ **الديوان** ، 28 ــ 30 .

ومن البيت العشرين إلى الثاني والثلاثين : يذكر الشاعر يوم الفراق واصفا أهواله وأحواله .

وقد نوّه المقرّي بهذه القصيدة مدّعيا أنّ حازما أراد بها معارضة رائية ابن عمار في المعنى ثم قال : « وفضّل غير واحد هذه الجيميّة الحازميّة على تلك الرّائية العمّارية » (242) .

أمّا المقاطيع والأبيات التي نعدّها له من جنس هذا النوع من الشعر فيما وقفنا عليه له فهي :

1) بيتان من الكامل في وصف السحاب :

من كلّ بكر حرّة ما فارقت إطراقها وبكاءها وحياءها
يبدو احمرار البرق في صفحاتها خجلا إذا رفع النسيمُ رداءها (243)

2) سبعة أبيات من بحر المديد يصف بها الإيحاء الشعري :

ملأت من أبدع الحكم دلوَ آمالي إلى الوذَم
بنتُ فكر قمتُ إذ قدمت لتلقّيها على قدم
فارتوى منها على ظمأ خاطري من مورد شَبِم
أصبحت أولى بما نَسبتْ لي من الإحسان والكرم
دونكم ما قد تكلّفه خاطرٌ يشكو من السأم
من بوادي الشعر هام هوىً ففؤادي فيه لم يَهِم
إنّ رسمَ الشعر في خلدي طللٌ أقوى على القدم (244)

3) أربعة أبيات من بحر المديد أيضا يتناول فيها نفس الغرض .

بنتُ فكر لا نظير لها صاغها من لا نظيرَ له
وأمدّ اللهُ خاطره بهداه حين أعمله

---

(242) ابن عمار هذا هو ابو بكر محمد الاديب الشاعر الاندلسي . كان وزيرا للمعتمد بن عباد . توفي سنة 449/1036 . راجع م. د. ا. ، (I) ، ٢ ، 383 ؛ وذكر قصيدته باكملها المقري : **النفح** ، (I) ، ١ ، 434 — 435 .

(243) البيتان من قصيدة طويلة بها 98 بيتا . راجع **الديوان** ، 6 — 12 عدد 3 ؛ انظر اعلاه ابن سعيد 34 — 35 وتع 23 .

(244) راجع **الديوان** ، 112 عدد 32 ؛ انظر اعلاه ابن سعيد 34 — 35 وتع 23 .

فحبـاهـا الله إذ كملـت مـا حبـاه حيـن كمّلـه
وعـلى الأقـوال فضّلهـا مَن على الأقوام فضّله (245)

4) ثلاثة أبيات من بحر الطويل في وصف وردة بيضاء .

ومبيضّة الأثواب تُدعى بوردة تقلُ لها الأشباه عند التماسها
أنافتْ على ساقٍ لتشرب عندما أشارت لها كفُّ البروق بكاسها
كجارية قامت ببيضِ غـلائلٍ مرفّعةٍ أذيالـها حول راسها (246)

5) أربعة أبيات من الكامل في وصف الطبيعة .

فتَق النسيمُ لطائم الظلماء عن مسكة قطرتْ مع الأنداء
وغدا الصّباح يفضّ خاتم عنبر بالشّرق عن كافورة بيضـاء
والكـوكبُ الدريّ يزهو سابحـا في مـائه كالدرّة الزّهـراء
وكأنّما ابنُ ذُكاءَ يُذكي مِجمرا منه يفيد الريحَ طيب ذكاء (247)

6) ثلاثة أبيات من البسيط يصف بها زهر اللوز :

لا نَور يعدل نور اللوز في أنق وبهجة عند ذي عدل وإنصاف
نظـام زهر يظلّ الدرّ منتشرا عليه من كلّ هامي القطر وكّاف
بينا تـرى وهـي أصداف لدرّ حيـاً
بيضٍ غدت دررا في خضر أصداف (248)

أمّا شعر الهزل عند حازم فيمثّله لديه غرض النسيب . وهذا يبدو في طوالع القصائد . إمّا في البيت الأول منها كقوله من قصيدة في بحر البسيط :

سلطان حسن عليه للصّبا علم إذا رأته جيوش الصبر تنهزم (249)

---

(245) راجع **الديوان** ، 97 عدد 35 ؛ انظر اعلاه ابن سعيد 34 – 35 وتع 23 .
(246) المقري : **الازهار** ، ٣ 178 ص 4 – 6 ؛ **الديوان** ، 63 عدد 21 .
(247) المقري : **الازهار** ، ٣ ، 177 ص 10 – 13 ؛ **الديوان** ، ١ عدد 1 .
(248) راجع المقري : **النفح** ، (1) ، ٢ ، 409 ؛ **الديوان** ، 80 عدد 27 .
(249) انظر اعلاه ابن سعيد 34 – 35 وتع 23 ؛ المقري : **الازهار** ، 3 ، 178 س 2 ؛ **الديوان** 112 عـدد 40 .

أو في أبيات كثيرة مثل التي أوردها الصفدي . وهي تسعة أبيات من بحر الطويل طالعها :

أيعلم ما يلقى من الشوق لائمه   إذا ما شجته من حبيب معالمه (250)

وأمّا النظم الصناعي البديعي فتشهد به ثلاثة مقاطيع تدلّ على مدى ولوع حازم بضروب الصناعة وألوان البديع .

وأولى المقاطيع الثلاثة ، من بحر مجزوء الكامل ، تمثل لغزا يتعلق بقولك – ألغز له – وهذان البيتان هما :

يا من له فكر منير يهتدى بسراجه
ما جمع إن تأمر به أضحى كقولك حاجه (251)

والقطعة الثانية ، تتألّف من ثلاثة أبيات من بحر الوافر ، فيها تورية بمسائل نحويّة وذلك قوله :

صليه أو كليه لما يلاقي   ولا تتكلّفي خدع المآقي
ودونك فانظري طمحان عزمي   إلى أعلى المراتب والمراقي
بإعمالي حروفا مضمرات   نواصب في الهجير لما تلاقي (252)

والمقطوعة الثالثة ثلاثة أبيات هي :

تركت مطايا الآملين لما سقت   يمناه ما تسقيه ضرب الزبرج
فتجمّ أنفسها لورد جمامه   بصدودها عن برد ماء الحشرج
وتصدّ عن رعي الجميم كأنّما   تلقى من البهمى أخلّة ملهج

وقد عارض بهذه القطعة بيتا للشمّاخ . والأبيات الثلاثة من قصيدة طويلة من بحر الكامل ، أورد هذا المقدار منها التجاني والسرّاج (253) .

---

(250) الصفدي : الوافي ، مخط ، 4845 ، ١١ ، 108 . يبدو ان القصيدة اطول من ذلك . بها 60 بيتا ، انظر **الديوان** ، 109 – 111 ، عدد 38 .

(251) انظر اعلاه 36 وتع 31 .

(252) انظر اعلاه 36 وتع 32 ؛ العياشي ، ٢ ، 254 .

(253) انظر التجاني ، 114 س 7 – 11 ؛ السراج 219 . تمام القصيدة ، وهي ذات 82 بيتا **بالديوان** ، 31 – 35 عدد 10 .

وأمّا أشعاره الجدّية فيمكن توزيعها إلى قسمين : مراث ومدائح .

أمّا المراثي ، فلا نملك منها غير قصيد ومقطوعة كلاهما من بحر مخلع البسيط، ويتألّف القصيد من تسعة وعشرين بيتا طالعه :

لا تبك حزنا ليوم بين وذكر ريم برامتين

ولا تعدو المقطوعة خمسة أبيات أوّلها :

أما تراها تسحّ دمعا كأنّ عيني بكت بعين

وكلاهما في رثاء الإمام الحسين بن علي ، صنعهما تذييلا لبيتي الجوزي الشهيرين :

ولائم لام في اكتحالي يوم استحلّوا دم الحسين
فقلت دعني أحقّ عضو يحظى بلبس السواد عيني (254)

هذا ولا يخفى أنّ منظومتي حازم في هذا الغرض لا تخرجان به في الواقع عن النوع الأخير المتقدّم ذكره ، إذ كان ذلك منه على سبيل التذييل والمعارضة كما قدّمنا ، وهو لم يصدر عن ذلك إلاّ امتحانا واختبارا لملكته البلاغية وقدرته على نظم الشعر ارتجالا .

وأمّا المدائح فهي عديدة منها :

1) مقطوعة ذات بيتين من الكامل على روي الراء . هي كلّ ما وقفنا عليه من قصيد لحازم على لسان أهل اشبيلية في بيعة الأمير الحفصي والاعتراف له بالولاء :

مدّت اليك يدّ المطيع وبايعت منك الإمام المرتضى المتخيّرا
فقبلتها لا لازدياد ضخامة بل رغبة في أن تثاب وتؤجرا (255)

---

(254) انظر اعلاه 36 – 37 وتع 37 .

(255) انظر اعلاه ابن سعيد 34 – 35 وتع 23 ؛ القصيدة باكملها وهي 60 بيتا **بالديوان** . 51 – 54 عدد 17 .

2) طالع قصيدة من بحر الكامل أنشدها حازم الأمير المستنصر بالله الحفصي :

في كلّ أفق من صباح دجاكم ... نور جلا خيط الظلام بخيطه
راقت محاسن مجدكم فبهرن ما ... كُسِيْته من حِبَر المديح وريطه(256)

3) طالع قصيدة من بحر الكامل أيضا :

لم تدر إذ سألتك ما أسلاكَها ... أبكت أسى أم قطّعت أسلاكها

ويبدو أنّ هذه القصيدة كانت أنموذجا جرى عليه في المعارضة تلميذ حازم التجاني في قوله :

يا ساحر الألحاظ يا فتّاكها ... فتيا جواز الصدّ من أفتاكها (257)

وبجانب هذه المقاطيع التي أشرنا إليها نجد لحازم قصائد كثيرة كاملة وغير كاملة ، في غرض المديح .

وأول هذه القصائد : منظومة ذات مائة بيت من بحر الطويل ، تقدّم بها إلى أبي زكرياء الحفصي وطالعها :

منى النفس يدني منكمُ والنوى تُقصي
فكم ذا يطيع الدهرُ فيكم وكم يعصي(258)

وقد تناول الشاعر فيها أغراضا كثيرة :

فمن البيت الأول إلى السادس : يشكو الشاعر محنة الاغتراب عن وطنه ويعلن رغبته الشديدة في الاحتماء بالأمير أبي زكرياء .

ومن البيت السادس إلى السابع عشر : يورد في قصيده الغرض الغزلي .

ومن البيت السابع عشر إلى العشرين : يتخلّص إلى بيان نتيجة تجاربه ، فيتنكّر لحياة الدّعة واقتناص اللذائذ مقبلا على حياة الزهد فيها .

(256) راجع المقري : **النفح** ، (1) ، ١ ، 866 س 6 ـ 7 .
(257) نفس المرجع ، ٢ ، 522 . قصيدة حازم 42 بيتا . راجع **الديوان** ، 87 ـ 88 عدد 32 .
(258) انظر اعلاه 36 وتع 33 ؛ لم يثبت منها الكماك سوى 53 بيتا . راجع **الديوان** ، 64 ـ 67 عدد 2 .

ومن البيت العشرين إلى الثامن والستين : يتلو غرض المدح . وقد نوّه هنا بالدولة الحفصيّة ورجالها وخاصّة بأبي زكرياء .

ومن البيت الثامن والستين إلى الحادي والسبعين : يتوسّل الشاعر إلى الأمير أبي زكرياء ضارعا طالبا منه الحماية ، مؤمّلا أن يرى جيشه المنصور مكتسحا شرقي بلاد الأندلس المغصوبة .

ومن البيت الحادي والسبعين إلى الحادي والثمانين : يصف الشاعر مركوبه الذي أجهده السير ، وهو ناقته .

ومن البيت الحادي والثمانين إلى السابع والتسعين : يفاخر الشاعر بنظمه ويزهو ببراعة شعره .

ومن البيت السابع والتسعين إلى البيت المائة : يختم الشاعر قصيدته بالدعاء للأمير الحفصي . وهذا القصيد المديحي من أبدع ما نظم حازم وهو متميّز بجمال الأسلوب وحسن المأخذ ، دفع كثيرا من شعراء البلاط وغيرهم إلى معارضته . ذكر ذلك ابن الأبّار في كتابيه **التحفة وإيماض البرق** (259)

وأول من عارض هذا القصيد الصابوني الإشبيلي ، بعث بمعارضته من بلده إلى الأمير أبي زكرياء الحفصي قبل وفادته على حضرة تونس . ومطلع قصيدته :

شخصت لعزم البين فاخترمت شخصي
زيادة وجد تنهك الجسم بالنغص (260)

وعارضه ابن الأبّار نفسه بقصيدته التي طالعها :

أتجحد قتلي ربّة الشّنف والخُرص
وذاك نجيعي في مخضّبها الرّخص (261)

(259) راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 ، و . 42 أ س 24 ، 26 .

(260) نفس المرجع ، و . 42 أ س 3 – 23 .

(261) نفس المرجع ، و . 42 أ س 27 – و . 42 ب س 16 .

وممن عارضه أيضا ابن عربية . وطالع قصيدته :

أشار لدى التوديع بالعنَم الرّخص
وبان فلا أهلا ببان ولا دعص(262)

وثاني القصائد المديحية ما نظمه ، في سبعة وتسعين بيتا على بحر الطويل ، يمدح به المستنصر الحفصي . وطالع هذه المنظومة :

أمن بارقٍ أوْرى بجنح الدجى سقطا
تذكرتَ مَن حل الأبارق فالسقطا(263)

ويبدأ هذا القصيد بتسعة وعشرين بيتا في غرض النسيب. وهي من أجود ما نظم من الغزليات . وبقية القصيد مصروف جميعه إلى مدح المستنصر وأسلافه الميامين .

والقصيدة الثالثة المديحية تتألّف من تسعة وسبعين بيتا في بحر الطويل ، ضمّنها الشاعر أعجاز معلّقة امرىء القيس (264) . وقد جعل هذه البديعية في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلّم . وطالعها :

لعينيك قل إن زرت أفضل مرسل
« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » (265)

ولما اشتملت عليه هذه القصيدة من خصائص ، كانت في عصره أشهر ما علم من نظمه . وتلقّفها الناس بالرواية طبقة عن طبقة وجيلا بعد جيل .

ومن مدائح حازم وأجودها وأطولها وأشهرها قصيدته **المقصورة** (266) ، التي نظمها على بحر الرجز . والمحتوية على ستة وألف بيت . ذكر حازم في

(262) راجع ابن رشيد ، مخط . 1735 ، و . 42 ب س 16 ـ و . 44 ب س 3 .

(263) راجع المقري : **النفح** ، (I) ، ١ ، 862 س 8 ـ 866 س 5 ؛ **الديوان** ، 68 ـ 73 عدد 23

(264) راجع السندوبي .

(265) راجع المقري : **الازهار** . ٣ ، 178 س 9 ـ 182 س 11 ؛ **الديوان** 89 ـ 96 عدد 33 .

(266) راجع القرطاجني .

مقدّمتها أنّه عارض بها **مقصورة** ابن دريد (267) . وقد كان داعي نظمها مدح المستنصر الأمير الحفصي على تجديده للحنايا الرومانية التي تحمل كما لا يخفى قنوات المياه من العين النابعة بجبل زغوان إلى جنّات أبي فهر والقصبة بمدينة تونس .

وفي هذه القصيدة **المقصورة** يبلغ الشاعر أبو الحسن حازم القرطاجنّي الذروة في الإبداع والبراعة النظمية . وقد جعل من مقصورته ألواحا جميلة متجانسة ، عرض فيها لشتّى الأغراض والفنون من مدح وغزل وحكمة ومثل ، ووصف معالم ومجاهل ، ومنازل ومناهل ، ورياض وأزهار ، وحياض وأنهار ، وأزمن وأعصار ، ومدن وأمصار ، وجواز في قفار ، وجوار في بحار ، وصيد وقنص ، ووعظ وقصص ، ومواقف تعجّب واعتبار ، ومواطن تبسّم واستعبار ، إلى غير ذلك من ضروب المقاصد (268) .

وتبدأ **المقصورة** بمقدّمة غزلية جريا على التقاليد العربيّة في النظم (1—52) وطالعها :

لله ما قد هجت يا يوم النّوى على فؤادي من تباريح الجوى

ومن ذلك يتخلّص الشاعر إلى مدح أسلاف المستنصر ، وذكر أيادي الأمير وآلائه على البلاد التونسية التي عرفت في عهده الأمن والازدهار (52 — 172) . وفي الأبيات الموالية يمتطي الشاعر هذا الغرض مناسبة للتّحوّل إلى ما تهيّجه الذكرى بتونس ، مستقبلا بذلك أغراضا جديدة أخرى ينزع به الشوق إليها . فإذا هو معنيّ بوصف أيامه الجميلة الخالية ، وذكر مرابع شبابه ولهوه ، ومدائن الأندلس البهيجة التي كان يقضّي بها حياته ، متنقلا بينها ، قبل سقوطها بيد الإسبان (172 — 187) . فيتغنّى بالحبّ ويجري على طريقة ابن هانئ الأندلسي في وصف السماء والشهب (185 — 197) .

(267) هو أبو بكر محمد بن الحسن الازدي ، اللغوي الشاعر . المولود بالبصرة سنة 838/223 والمتوفى سنة 933/331 . وهو صاحب **الجمهرة** . وقصيدته **المقصورة** تتضمن مدح بني ميكال امراء فارس . راجع السيوطي : **البغية** ، 30 ــ 33 .

(268) القرناطي : **الحولية** ، ٢ ، ماي 1953 ، 16 .

ثمّ يتحدّث عن شوقه الذي برّح به إلى منازله القديمة ، ولذائذه ، إلى الصيد والقنص ، وإلى مختلف الشواغل والأسفار التي كانت له قبل (197 — 502) . ومن هذا ينتقل إلى النسيب والتشبيب بعشيقته ، باكيا حبّه الضائع (502 — 566) . ويتولّى بعد ذلك الحديث بشجاعة عن حظّه التعس . فقد انصرفت أيّامه الحبيبة عنه ، وعاد يجتاز الأيام السوداء العصيبة التي تتابعت عليه عند اضطراره لمفارقة وطنه ، وخروجه إلى مهجره من بلاده شرقي الأندلس . وهنا يصف العواصف والزوابع التي لقيها في طريقه ، ويصوّر لنا الدوابّ التي ركبها مشيرا أحيانا إلى ما نالها من إجهاد وهزال بسبب طول السفر ، ومشاقّ الطريق ، إلى أن بلغت به تونس (566 — 788) .

هذا ولا ينسى الشاعر التذكير بأسباب انهزام المسلمين بالأندلس . ومن ثمّ يعود إلى غرضه الأصلي من **المقصورة** . فيمدح وليّ نعمته وحاميه المستنصر . يمهّد لذلك بتصوير خصال ومناقب القادة الإسلاميين وما بلغوا به العزّة والمنعة . فيذكر بالمناسبة انتصار الأمير يعقوب الموحّدي في واقعة « الارك » سنة 1195/593 ، ثمّ يجعل وارث الخصال كلّها والمناقب جميعها ممدوحه المستنصر محطّ آمال المسلمين ، الذي يستطيع دون غيره أن يعيد للأمة الإسلامية سيادتها وعظمتها . ومن أجل ذلك نراه يستنجده ليفزع إلى وطنه الأندلس (788 — 974) . وفي ختام **المقصورة** يعود الشاعر إلى نظمه ، مفتخرا بجميل مذاهبه فيه ، معلنا أنّه ضارع ابن حزام في نسيبه ، والمتنبي في أمثاله (974 — 1006) .

هذا و**للمقصورة** جوانب من الأهميّة جديرة بالدرس والتحليل . فهي تمتاز بخصائص لغوية وأذواق أدبية ونواحٍ تاريخية وجغرافية . ومن أجل ذلك وقع الإقبال عليها من عصر حازم . ووضع كثير من العلماء حولها شروحا نذكر من بينها ، ممّا هو مفقود اليوم :

أولا : شرح التجاني الذي سماه **أداء اللاّزم نحو مقصورة حازم** . ذكر

ذلك له الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في مقدّمته **للرحلة** حين ترجم لكاتب اللحياني أبي محمد عبد الله التجاني (269) .

ثانيا : **شرح المقصورة** للمحبّي الذي تعرّض لذكره حاجي خليفة في كتابه **كشف الظنون** (270) .

وكلّ ما وقفنا عليه من الشروح هو شرح الغرناطي ، أحد رجال القرن الثامن ، المولود بسبتة في السادس من ربيع الثاني سنة 697/ الثاني والعشرين من ديسمبر 1297 ، والمتوفّى بغرناطة في شهر شعبان سنة 760/ جوان — جويلية سنة 1359 (271) . ويعرف هذا الشرح **برفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة** . وهو مثال في بابه كما نبّه على ذلك المستشرق الإسباني قومز (272) .

افتتحه الغرناطي بشرح الخطبة التي وضعها حازم بين يدي قصيدته . وعقد لألوان البديع الواردة في المقصورة والمذكورة في المقدمة فصلا للتعريف بها وإيراد الأمثلة المتنوّعة لها . وهو في شرحه للأبيات معتمد الطريقة التطبيقية ، مستخدم للقوانين العربية والبلاغية إلى أبعد حد ، قصد استجلاء المعاني واستخراجها من مكامنها . فكان من أجل ذلك يعرض لكثير من المسائل النحوية واللغوية والبيانية ، ثمّ يبحث عن المعاني بحثا دقيقا ، فيتتبّعها في المقصورة ، وفي الشعر العربي عامّة ، مقارنا بذلك بين النظائر ، ومشيرا أحيانا إلى المصادر أو المآخذ التي استمدّ منها أو تأثّر بها حازم . فإذا ورد في المقصورة ذكر أعلام لرجال أو مدن أو منازل ، أو وردت الإشارة بها إلى أحداث ، استغلّ الغرناطي تلك الفرص للتعريف بها وذكر الوقائع ووصفها . وهكذا تهيّأ بهذا الشرح وجود بعض المعلومات الدقيقة عن الأندلس وحضارتها .

---

(269) راجع التجاني ، **المقدمة** ، 32 .

(270) انظر اعلاه 41 وتع 74 .

(271) راجع قومز ، 85 .

(272) نفس المرجع .

وكما وجدت **المقصورة** عناية من الشرّاح والباحثين المتقدّمين ، نلفيها اليوم مقتضية مثل تلك العناية أو أكثر . ولتعدّد جوانب الأهميّة فيها نجد من معاصرينا من لم يُعن إلاّ بالناحية الأدبية الصرفة ، ولم يولّ وجهه في دراسة المقصورة إلاّ نحو ما انفردت به من خصائص في هذا اللون الشعري الذي تبدو لنا فيه . ومنهم من راعته المعلومات التاريخية والجغرافية التي انفردت بها المقصورة في ذكر أحوال البلاد الأندلسية فوجّه كلّ اهتمامه إلى هاته الناحية .

فمن الصنف الأول من الدارسين الدكتور محمد مهدي علاّم الذي حقّق نصّ **المقصورة** وتحدّث عن هذا الفنّ الشعري ونشأته ، وضبط مراحل وجوده وما لحقه من تطوّرات (273) . وهو في تعقيبه على **مقصورة** حازم ، مقارن بينها في النظم وبين المقامة في النثر ، واضع بذلك ابن دريد محلّ بديع الزمان ، وحازما مع الحريري ، منته في تلك المقارنة إلى القول بأنّ حازما قد بلغ في هذا اللّون من الشعر الغاية ، وأنّه الأستاذ فيه غير منازع ، وإن كان خافت الشهرة في عصرنا (274) .

ومن الصنف الثاني قومز . فهو بعد أن ترجم لحازم وحلّل **مقصورته** ، عاد إلى الأبيات الثلاثين والثلاثمائة ، التي تصوّر حياة الشاعر بمرسيّة وقرطاجنّة وأريوله ، لا ليفحصها من الناحية الأدبية والفنية ، ولكن ليستخرج منها ما تضمّنته من معلومات تاريخية وجغرافية هامّة (275) . وهو في هذا الغرض ، في الملاحظات التي دوّنها حول قصيدة حازم ، يحيل على كازيري وسيموني (276). وبالاعتماد على نصّ **المقصورة** يشير ، زيادة على ما احتواه النظم من وصف للطبيعة وبيان لأحوال المسلمين بالأندلس في تلك الفترة ، إلى الأماكن التي تعرّض لها حازم بأسمائها . وهي أكثر من مائة موضع . ويلاحظ المستشرق الإسباني الأهميّة البالغة التي يمثّلها

(273) انظر اعلاه 42 وتع 84 .

(274) راجع علاّم ، 31 .

(275) راجع قومز ، 91 – 95 .

(276) راجع قومز ، 29 – 95 .

النصّ لدراسة التسميات والأعلام الإسبانية العربية للأماكن . فهو مصدر لأسماء جغرافيّة مجهولة ، كالتي أطلقها حازم على بعض الأودية والجبال والجزر والمدن ، أوكالتي سمّى بها جملة من المعالم كالقصور والسبّالات والقباب ، أو التـي عيّن بها جهات ، كان شباب عصره يلتقون بها للقنص والصيد .

وفي ملحق البحث قدّم قومز قائمة مرتّبة على الحروف الهجائيّة لتلك الأعلام والأسامي الواردة **بالمقصورة** (277) . ونبّه في ختام الدراسة على عظيم أهمّية ذلك قائلا : « أعتقد أنّ القصيدة **المقصورة** للقرطاجنّي تمثّل وثيقة من الدرجة الأولى لمعرفة جغرافية وعادات السكّان في تلك المنطقة الجميلة الخصبة من إسبانيا ، التي كانت تدعى في القديم كورة تدمير » (278) ، وهو يعجب كلّ العجب من إهمال قاسبـار رميرو لهذا المصدر ، وعـدم اعتماده عليه ، في التعريف بتاريـخ مرسيّة الإسلاميّة (279) .

تلك هـي جملة آثار حازم الشعريّة . ومن يتعمّق خصائصها أو يتعـرّف إلى مميّزاتها يـر ميل حازم إلى مناهج المجدّدين السابقين من شعراء العربيّة . ومن أجل ذلك نراه يفضّل المتنبي عليهم جميعا (280) ويقضي له بالتفوّق، لما في طريقته من إبداع في الجمع بين الأسلوب الشعري القائم على التخييل والأسلوب الخطابـي القائم على الإقناع (281) . فلا غرو أن وجدناه بعد ذلك متأثرّا به في نظمه ، جاريا على طريقته في الإطار أو الشكل والصورة أو الغرض جميعا . وهو ينحو أيضا منحى ابن المعتز في استعاراته وتشابيهه (282) . وفعلا فقد برع حازم في مذهب المعانـي والجري على الأساليب البيانية والبـديعيـة ، ودفعـه ذلك إلى الإئتساء بغيـره ومسابقتـه بمـا وضعـه من معارضات (283) .

---

(277) راجـع قـومـز ، 99 ـ 103 .

(278) راجع قومز ، 95 .

(279) نفس المـرجـع.

(280) راجـع **المنهـاج** ، 88 : 5 .

(281) راجـع **المنهـاج** ، 298 ـ 300 ، 363 س 1 ـ 4 .

(282) يظهر هذا بوضوح في غرض الوصف عند حازم . انظر اعلاه 74 ـ 76 .

(283) من بين المعارضات المشار اليها نذكر **المقصورة** اولا ، ثم **القصيدة التصوفية والجيمية** التي من بحر الكامل . انظر اعلاه 81 ، 74 .

ب ــ القسم العلمـي : الآثار النحوية

كان حازم ، كما ذكر ذلك السيوطـي (284) والمقّري (285) ، من النحاة المشاهير ، وله مؤلّفان :

صنّف كثير من المشارقة والمغاربة ، أمثال ابن هشام (286) وابن الضائع (287) والجزري (288) وابن الحاج (289) ، رسالة في الردّ على كتاب **المقرّب** لابن عصفور أسماها **شدّ الزنّار على جحفلة الحمار** (290) ، لكن هذا المؤلّف الذي تحسبه كاشفا عن مذهب حازم وآرائه النحويّة اللّغوية مفقود لسوء الحظّ .

وإذا كنّا ، بسبب ذلك ، قد حرمنا الاطلاع على تصنيف نحويّ لحازم ، فإنّا لم نحرم الوقوف على **القصيدة النحويّة** التي ما تزال موجودة بنصّها الكامل في مجموع مخطوط تحتفظ به المكتبة الأحمديّة بجامع الزيتونة بتونس تحت عدد 1610. وتتألّف هذه القصيدة الميميّة من تسعة عشر ومائتي بيت من بحر البسيط . وأغلب الظنّ أنّ مؤلّفها أراد أن يضع بها متنا في علوم

(284) انظـر اعـلاه 39 وتع 55 .

(285) انظـر اعـلاه 40 ــ 41 ، وتع 69 ، 71 .

(286) هو جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام ، النحوي المصري الشهير ، ولد سنة 1308/708 وتوفي سنة 1359/761 ــ 60 . وهـو صـاحب **المغني** . ذكر السيوطي له جملة مؤلفات لم ينشر من بينها الى رده على **المقرب** ، وليس لنا علم بهذا الكتاب الا من طريق المقري . راجع في هـذا السيوطي : **البغيـة** ، 393 ــ 294 ؛ المقري : **النفـح** ، (1) ، ٢ ، 522 .

(287) هو علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي الاشبيلي ، النحوي الفقيـه . توفي سنة 1281/680 ، اخذ عن الشلوبين ، وترك مؤلفات كثيرة منها **الرد على المقرب** لابن عصفور. راجع السيوطي : **البغيـة** ، 354 .

(288) هو ابراهيم بن أحمد بن محمد الانصاري الخزرجي ، أحد أعلام البلاغة والنحو . صنف كتبا كثيرة منها : **المنهج المعرب في الرد على المقرب** ، ولم يذكر ابن رشيد ولا السيوطي رده على **المقـرب** . راجع ابن رشيد ، مخط . 1737 . و . 62 أ ــ 63 أ ؛ السيوطي : **البغيـة** ، 177 .

(289) هو أحمد بن محمد بن أحمد الازدي الاشبيلي الشاعر ، أحد اعلام النحو والبلاغة . توفي بتونس سنة 1253/651 . اخذ عن الشلوبين ، وعد من مؤلفاته رده على **المقرب** . راجع ابن رشيد، مخط . 1335 و . وسط 33 أ ــ آخر و . 33 ب ؛ السيوطي : **البغية** ، 156.

(290) راجـع في ذلك كله المقري : **النفـح**، (1) ،٢، 522.

العربيّة على نحو ما صنع ابن معط (291) وابن مالك (292) . ثمّ وقف عن إتمامها ، فلم يبلغ بها الألف بيت مثلهما . وفي خطبة هذه القصيدة التي طالعها :

الحمـد لله مُعلي قدرَ من علمـا   وجاعلِ العقل في سبُل الهدى علما

يذكر حازم ، في أبيات ، مدينة تونس وهجرة العلماء إليها ، ويمدح أميرها المستنصر، لما أغدقه على قصّاد إفريقيّة من نعمة وأمن . ثمّ يتخلّص من ذلك إلى الموضوع الأصلي من قصيدته ، فيتحدّث عن صناعة النحو، متعرّضا لمباحث عديدة يشتغل فيها ببيان أنواع الكلم وأحكام الإعراب والبناء ثمّ يذكر العوامل والفعل وأحكامه والنوا صب للأفعال والنواصب للأسماء ثمّ النداء والاستثناء وخفض الاسم وأحرف النصب وعلامات الإعراب ثم الابتداء . وعند هذا المبحث ينقطع القول ، وذلك بعد الإشارة إلى الخلاف الذي شجر بين زعيم البصرة سيبويه (293) وزعيم الكوفة الكسائي (294) حول المسألة الزّنبوريّة (295) ، وذكرِ آثار المناظرة بينهما معقّبا عليها بقوله :

والغبـن في العلم أشجى محنة علمت   وأبرح الناس شجوا عالم هضما

ج ـ القسم العلمـي : الآثار البلاغية والنقدية

يبدو أنّ حازما ترك ثلاثة أو أربعة تصانيف في فنون البلاغة والشعر :

منهـا ما هو مفقـود لم نقف عليه بعد ، وهو كتـاب **التجنيس** . ذكـر السيوطي أنّ لابن رُشيد شرحا عليه (296) .

---

(291) هو زين الدين ابو الحسين يحي بن عبد المعطي الزواوي المغربي ، النحوي . ولـد سنة 1169/564 ، وتوفي بدمشق 1231/628 . تنقل كثيرا في المغرب والمشرق ، ودرس الادب بجامع عمرو بالقاهرة . وترك مصنفات عديدة منها : **الالفية** . راجع د. م. ا. (1) ، ٢ ، 431 .

(292) انظـر اعـلاه 46 وتع 97 .

(293) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، شيخ مدرسة البصرة ، المتوفي سنة 791/175 . اخذ عن الخليل بن احمد ، ووضع في العربية اول المصنفـات جميعهـا **الكتـاب** . راجع د. م. ا. ، (1) ، ٤ . 412 ـ 413 .

(294) هـو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمـان بن فيروز الاسدي . علم معـدود في القراء والنحاة ، رئيس مدرسة الكوفة . توفي برنبويه سنة 1096/189 ، السيوطي : **البغية** ، 336 ؛ كحالة ، ٧ ، 84 .

(295) انظر خبر المناظرة وتفصيله عند الزجاجي ، 8 ـ 10 .

(296) راجع السيوطي : **البغيـة**، آخر 85.

ومنها في العروض وعلم القافية كتاب يظنّ أن معظمه مفقود ، وقد أحال عليه حازم في **منهاجه** ، ولم يصرّح باسمه (297) ، ولكنّه أشار إلى عظيم أهميّته في موضوعه . وقد يحتمل أن تكون القطعة الموجودة ، في المجموع المخطوط عدد 2804 بالمكتبة العبدليّة بجامع الزيتونة ، من هذا الكتاب . وهي تبحث في القافية . وفعلا فقد ظفرنا مع نصّ كتاب **المنهاج** بكتاب آخر لحازم سماه **كتاب القوافي** وهو لا يعدو ثلاث ورقات صنفّه للأمير المستنصر ، يدلّ على ذلك قوله من خطبته : « إنّ هذا الكتاب تعيّن بانتهاج الاسم الإمامي المستنصري وامتثال الأمر المطاع العلي ، أن يقصد فيه إلى تعديد ضروب من القوافي » (298) . وفي التعريف بهذا الكتاب والتقديم له كلام يشعر بأنّ محرر الأسطر الموالية أو ناسخها تلميذ لحازم (299) . وقد يجوز أن يكون المقدار الموجود من هذا الكتاب متنا عقّب عليه ابن رُشيد بالشرح ، ثمّ فقد معظم الكتاب فيما فقد . فإنّ المقّري ينسب للرحالة ابن رُشيد شرحا على **كتاب القوافي** لحازم سمّاه **وصل القوادم بالخوافي في شرح كتاب القوافي** (300) .

ومنها أخيرا في فنّ الشعر كتاب ذو أهميّة بارزة ، متميّز بموضوعه وبطريقة التناول والبحث لفنّ القريض ، وهو **المنهاج** . ونسخة هذا الكتاب من أوقاف المكتبة الصادقية ، كان موجودا بالعبدلية في جامع الزيتونة بتونس تحت عدد 2804 ، ثم حوّل إلى المكتبة الجامعيّة بتونس . ولم يتناول المخطوط لحدّ الآن بالوصف .

---

(297) راجع **المنهاج** ، 259 س 6 .

(298) مخط . **المنهاج** عدد 2804 ، و . 145 ب س 14 .

(299) يقدم كتاب حازم في النسخة المشار اليها ما يلي من قول الناسخ : « قال شيخنا الاوحد البليغ أبو الحسن حازم ابن القاضي أبي عبد الله ابن حازم القرطاجني رحمه الله . » وهذا لا ينفي ان يكون الكلام بعد ذلك من تحرير حازم كما يسمح بظن كونه من املائه.

(300) راجع المقري : **الازهار** ،٣، 350 س 10.

فهو مسفّر تسفيرا حديثا . والمخطوطات التي يحويها الثلاث ، **المنهاج وكتاب القوافي والرسائل الديوانية** للبيت العزفي (301) مكتوبة بخطّين مختلفين :

فالقسم الأول وهو كتاب **المنهاج** يتألّف من و. 1 ب — 144 ب . ورقه سميك وخطّه تونسي أندلسي ، يرجع تقريبا إلى القرن السابع والثامن / الثالث عشر — الرابع عشر . وتشتمل صفحات هذا القسم على ثلاثة وعشرين سطرا . والورقة الأولى مجدّدة تحمل من الوجه :

1 — اسم الكتاب : **المناهج الأدبية** ، واسم المؤلف .

2 — تملّكها لشيخ الإسلام بيرم الرابع مؤرّخا بعام 1826/1242 .

3 — تملّكا بالشراء بخطّ الشيخ سالم بوحاجب ، يدلّ على أنّ المخطوط انتقل من تركة بيرم الرابع بالشراء إلى خير الدين ، في شهر رمضان 1828/1285 .

4 — فهرسة للمجموع الأصلي ، الذى أخرج منه المجموع الحالي ، تصوّر بدقّة ما كان يحتوى عليه المجموع الأوّل من كتب ورسائل . فهو علاوة على **المنهاج** و **كتاب القوافي ورسائل** العزفي ، يضمّ ثلاث مجموعات من شعر حازم و**قصيدته النحوية** ورسالة له غير واضحة العنوان وأشعارا للغافقي ورسالة في الخلاف بين الكسائي وسيبويه .

وعلى ظهر الورقة الأولى المجدّدة ألصقت الصفحة الأولى من **المنهاج** . وهي منقوصة من جميع أطرافها ومترهّلة شديد الترهّل ، فسقط منها العنوان . وللتعريف بها يوجد بأعلى الصفحة لبعض الناسخين بخطّ حديث البسملة والتصلية في سطر ، وعقبهما في سطرين الجملة التالية : « قال الإمام الحافظ البليغ الحجّة في مقام الأدب ومضماره حازم بن محمد القرطاجنّي » ، وعلى بياض الجانبين يمنة ويسرة كُتب نصّ تحبيس خير الدين ، لهذا المجموع ، على المكتبة الصادقية بجامع الزيتونة بتونس .

---

(301) المراد برجال البيت العزفي هنا من كتب الغافقي عنهما الرسائل. وهما : ابو القاسم محمد ابن احمد العزفي ، امير سبتة فيما بين سنة 1250/647 — 1278/677 ، وابنه أبو حاتم أحمد. راجع المقري : **الأزهار** ،٢، 374 وما بعدها.

فالورقة الأولى من كتاب **المنهاج** هذا لا تمثّل ، كما سنصوّر ذلك ، أوّل المخطوط . والعنوان الذي نجده بها ، المطموس غالبه ، هو عنوان القسم الثاني من هذا الكتاب . والنسخة ناقصة أيضا من الآخر . فالورقة 144 ب بها المعرف (د) من المنهج الرابع من القسم الرابع . وعنوان هذا المعرف : « معرف دالّ على طرق المعرفة بمبلغ هذا الكتاب من أصول هذه الصناعة » . وآخر ما بالورقة يدلّ على وجود بقيّة كلام يقتضيه تمام البيان والشرح . ونصّه : « واعتبار كلّ نمط من أنماط الأوزان بما يصلح به من أنماط اللفظ والمعنى والنظم والأسلوب ، والتمييز بين ما يكون ملائما لما وضع بإزائه من جميع ذلك وما يكون منافرا لوضعه (302) » . وليس ثمّة تنبيه على نهاية الكتاب . وفي الهامش من بعض ورقات المخطوط إصلاح للنصّ ، وتوقيفات تؤذن بحصول المقابلة مع النسخة الأولى المفقودة التي كانت أصل هذه النسخة .

والقسم الثاني ، من المجموع الموجود اليوم ، مكتوب بخطّ أحدث ممّا كتب به القسم الأوّل . وهو يتألّف من مخطوطين :

من و . 145 ب ـــ 147 ب **قطعة من كتاب القوافي** لحازم (303) .

من و . 148 أ ـــ 170 ب **رسائل ديوانية** للبيت العزفي ، حرّرها عنهم كاتبهم الغافقي (304) .

وليس من غرضنا بدون شك الاشتغال هنا بهذه الرسائل التي تضمّنها المخطوط الأخير من المجموع .

---

(302) راجع **المنهاج** 380 .

(303) انظر أعلاه 89 س 6 .

(304) هو خلف بن عبد العزيز الغافقي القبتوري . امام المترسل في عصره وكاتب البيت العزفي من امراء سبتة . ولد باشبيلية سنة 1218/615 ـ 1219 . توفي بالمدينة سنة 704 ـ 1304/705 . اخذ عن الدباج . وقضى زمنا بالمغرب الاقصى وبتونس اين روى الحديث ، وزار القاهرة مرتين وقضى بقية حياته بالحجاز . راجع المقري : **النفح** ، (1) ، ١ ، 870 عدد 217 .

تحليل منهاج البلغاء وسراج الأدباء

أ — عنوان الكتاب ونسبته :

إنّ كتاب حازم هذا ، وإن ذاعت شهرته في العالم العربي شرقيّه وغربيّه ، قد توالى التغيير بالاختصار والتبديل على عنوانه الأصلي مرّات كثيرة . وفعلا فإنّ المخطوط الوحيد من هذا الكتاب الموجود اليوم بتونس يحمل على وجه الورقة الأولى منه بخطّ حديث اسم المناهج الأدبيّة . والظاهر أنّ هذه التسمية من وضع بعض القرّاء أو النسّاخ ، كما قدرّ ذلك بدوي (305) .

ويشهد بأصل التسمية ، المذكورة بصدر البحث ، ما ذكره السُبْكي في موضوعين من كتابه **عروس الأفراح** . فقد عدّ في المرّة الأولى **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** في قائمة مصادر تصنيفه (306) . وفي المرّة الثانية أحال على كتاب حازم بهذه التسمية في قضيّة التفريق بين التشبيه والاستعارة (307) .

ويؤيّد السبكي في ذلك الزركشي في كتابه **البرهان** (308) .

فلا نظر بعد ذلك إلى ما ورد من عنوان هذا الكتاب بصيغ مختصرة عند الصفدي في كتابه **الوافي** (309) ، وعند السيوطي في مؤلّفاته الثلاثة : **المزهر والإتقان والاقتراح** (310) ، وعند المقرّي في كتابه **الأزهار**(311) .

---

(305) راجع الى **طه حسين** ، 86 .

(306) راجع م. 387 وتع . 1 .

(307) راجع م . 386 .

(308) راجع م. 388 — 393 .

(309) انظر اعلاه 38 .

(310) انظر اعلاه 39 .

(311) راجع المقري : **الازهار** ، ٣ ، 172 س 13.

فإنّ التسميات لديهم كانت تختصر العنوان الأصلي لتسهيل الإحالة عليه مع الإيماء له بصيغ **سراج البلغاء** ، **منهاج البلغاء** ، **والمنهاج** .

ومن أجل ما قدّمنا كان من الضروري أن نعتمد تسمية السُبْكي عند تحقيق ونشر هذا الكتاب .

ولتحقيق نسبة هذا الكتاب إلى حازم نكتفي في ذلك بالإحالة على المعلومات الكثيرة المستفادة من المصادر المذكورة أعلاه . وممّا لا شك فيه أنّ النصين اللذين أوردهما الزركشي في الفصل الذي عنون له بالالتفات والفصل الذي عنون له بنفي الشيء رأسا في كتابه **البرهان** يتّفقان تماما ويطابق لفظهما لفظ ما عندنا في **المنهاج** (312) . أمّا النصوص الأخرى التي وجدناها عند السُبْكي والزركشي (313) فهي من حيث الشكل والطريقة التعبيرية من صنع حازم وهي من حيث الموضوع متّفقة من غير شك مع موضوع القسم الأول من **المنهاج** . وهذا ما لا نملك إقامة البرهان المادي عليه لأنّ القسم الأول من الكتاب المذكور مفقود تماما لا نعرف طريق التوصّل إليه .

ب ــ الموضوعات المحتملة للقسم الأول من المنهاج :

في كلام حازم نفسه (314) إشارات عديدة إلى موضوعات هذا القسم المفقود . فهو يتناول بالبحث القول وأجزاءه ، والأداء وطرقه ، والأثر الذي يحصل للسامعين عند صدور الكلام .

فالسُبْكي في كتاب **عروس الأفراح** ، والزركشي في كتاب **البرهان** ، يؤكّدان الموضوع المشار إليه ، والطريق التي سلكها حازم في تناوله لهذا القسم . وذلك بما يقدّمانه من نصوص نذكرها في الملحق الذي نضعه إثر كتاب **المنهاج** .

(312) انظر م. 392 عدد 8 ، 9 ، ق . **المنهاج** ، 348 س 4 ــ 9 ، 101 س 6 ــ 10

(313) انظر م. 383 ــ 393 .

(314) راجع في ذلك **المنهاج** ، 17 ف . 15 ، 19 ف . 2 ، 33 ف . 1 ، 44 ف . 2 .

فمن يعتمد الشواهد التي أدلى بها السُبْكي يجد حازما مشغولا بالبحث عن الضرائر، وبما قصُر أو طال من العبارات والألفاظ ، كما يلفه باحثا في الابتذال والغرابة والتشبيه وشروطه (315) .

ومن يرجع إلى نصوص الزركشي التي استشهد بها لحازم يلق فيها الحديث عن السجع ، وعن الحكم والأمثال ، وعن التشبيه وأدواته وأشكاله وصوره ، وعن الاحتياط في استعمال بعض الألفاظ وتقدير الاستعمال ، وعن الزيادة والقلب والالتفات والترتيب في المعاني والأغراض (316) .

ج – منهج حازم في الأقسام الباقية من كتاب المنهاج :

تتركّب قطعة **المنهاج** لحازم التي بين أيدينا من أقسام ثلاثة متمايزة ، تبحث كلّها في صناعة الشعر على العموم وعلى الوجه الذي يراه المؤلّف في عصره (317) . ويتناول حازم بهذا الكتاب درس موضوع الشعر وطريقة نظمه . ونجده يتعمّق ذلك في القسم الثاني والثالث والرابع من **المنهاج** ببحث المعاني والمباني والأسلوب .

وكلّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة موزّع إلى أربعة أبواب . أطلق حازم على كلّ واحد منها أسم منهج ، ثمّ جعل المناهج أو الأبواب متألّفة من فصول دعاها على التعاقب بمعلم أو معرف . وهو يتبعها غالبا بملاحظات بلاغية يجمعها في فصول ختامية ، يعنون لها بمأمّ أو مـآمّ على الإفراد أو الجمع . هذا وقد جعل فقر **المنهاج** متمايزة هي أيضا في كلّ فصل من فصول الكتاب ، فعنون لها بلفظين على التعاقب إضاءة وتنوير .

والقسم الثاني من **المنهاج** ، الذي تبدأ به نسختنا ، يبحث في المعاني . وليس المقصود بالمعاني عند حازم العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي

(315) انظر م. 383 – 387 .
(316) انظر م. 388 – 393 .
(317) راجع لضبط ذلك مقال حازم في **المنهاج** واستشهاده بكلام ابن سينا المنقول عن ارسطو ، 69 – 70 .

التي يطابق بها مقتضى الحال (318) ، ولكن المراد بها لديه البحث في حقائق المعاني ذاتها وأحوالها وطرق استحضارها وانتظامها في الذهن وأساليب عرضها وصور التعبير عنها . فلا يختلط المراد بالمعاني هنا بمدلول هذا اللفظ في الاصطلاح البلاغي . ويكون من غرضه في هذا القسم بيان ما ترتكز عليه الصناعتان الخطابية والشعرية ، وما يحتاج إليه فيهما من أساليب وأذواق ، مرجعها علم البيان وعلم البديع . وهذا الدرس للمعاني ، كما يعرضه علينا حازم ، عظيم الأهمية لمعرفة الصناعة الشعرية ، وبه تظهر أصالته في ميداني البلاغة والشعر .

في هذا القسم الثاني الخاص ببحث المعاني يعرض حازم لمشاكل كثيرة يتناولها في أربعة أبواب أو مناهج مختلفة .

في المنهج الأول ، الذي عقده للإبانة عن ماهيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها ، والتعريف بضروب هيئاتها وجهات التصرّف فيها ، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك ، لا نظفر بأكثر من فقرتين من المعلم الأوّل . ذلك أنّ نقصا كبيرا ذهب بمعظم ما احتوى عليه الباب من الفصول . وكلّ ما في الفقرتين هو إشارة إلى حظّ الشعر في عصر المؤلّف ، وإيماءٌ لداعي تأليفه لكتاب **المنهاج** . هذا ولم ينس حازم بتلك المناسبة التعريض بأهل الصناعة الشعرية في عصره . فقال : « فلم يوجد في شعراء المشرق المتأخّرين ، منذ مائتي عام ، من نحا نحو الفحول ، ولا من ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادىء الكلام وإحكام وضعه وانتقاء موادّه التي يجب نحته منها . فخرجوا بذلك عن مهيع الشعر ، ودخلوا في محض التكلّم . هذا على كثرة المبدعين المتقدّمين في الرعيل الأول من قدمائهم ، والحلبة السابقة زمانا وإحسانا منهم (319) » .

وفي المنهج الثاني ، المتألّف من اثني عشر فصلا ، يبحث حازم طرق اجتلاب المعاني وكيفيات التئامها وبناء بعضها على بعض ، وما تعتبر به

(318) راجع التفتزاني ، ١ ، 155 ؛ ق . صباغ 9 .
(319) راجع **المنهاج** ، 10 س 7 – 13 .

أحوالها في جميع ذلك . ويتحدّث عن أغراض الشعر الأول والثواني مقارنا بينها ، ويفصّل التأثّرات والانفعالات الحاصلة من القول الشعريّ ، ويفرّق بين مدركات الذهن وتصوّراته ومدركات الحسّ العامة ، وينتهي من ذلك إلى بيان المعاني الجمهورية وغيرها والمعاني العلمية والفنية ونحوها، فيفاضل بين كلّ هذه الأنواع قابلا منها ما يصلح أن يكون موضوعا للشعر، ودافعا ما لا يتّفق وطبيعة هذا الفنّ . وهو يذكّر معاصريه الفينة بعد الفينة بأنّ الملكة الشعرية لا تتفتّح ولا تزدهر إلاّ متى كانت موجّهة ومتولّدة عن معرفة نامية وعميقة . وهو من أجل ذلك يدعو الشعراء إلى الأخذ بمناهج القدامى من شعراء العربية . هذا وقد تولّى حازم في هذا المنهج شرح طريقة انتقاء المعاني ووجه التأليف بينها ، ثم تحوّل إلى ذكر مصادر الإيحاء الشعري اللازم لكلّ عمل فنّي . فالتأليف الشعري لديه لا بدّ له من مهيّئات وأدوات وبواعث . ومردّ الجودة في العمل الفنّي لدى الشعراء قوى ثلاث هي : القوّة المائزة والقوّة الحافظة والقوّة الصانعة . وقد استغرق بحث هذه القضايا ، بطريقة فلسفية منطقية ، سبعة فصول ، وهي التي صدّر بها حازم هذا المنهج .

ومن الملاحظ أنّ المؤلف نفسه أشاد بموضوعات هذه الفصول الدائرة حول بحث المعاني . وقد نبّه على أصالته في هذا الغرض وانفراده فيه بالتأليف عن سائر علماء العربية . يدلّ على ذلك قوله : « وقد سلكت من التكلّم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة ، لصعوبة مرامه وتوعّر سبيل التوصّل اليه . هذا على أنّه روح الصنعة وعمدة البلاغة » . وقد أشار بعد ذلك إلى أنّ علماء البلاغة في القديم لم يتكلّموا إلاّ في بعض ظواهر ما اشتملت عليه تلك الصناعة (320) . ثم عقد بعد ذلك فصولا أخرى إضافية عُني فيها بدرس بعض القضايا البلاغية ، فتحدّث كعامّة النقّاد السابقين عن مذاهب المطابقة والمقابلة والتقسيم والتفسير والتفريع .

(320) راجع **المنهاج** ، 18 ف . 16 .

وفي المنهـج الثـالث المتـألّف من ثمـانية فصـول يتحدّث حـازم عن الاستدلالات وأنواعها في الشعر. ويذكر خصائص الشعر العربي وموضوعاته، مقارنا بينه وبين شعر الإغريق، الذي بلغ الذروة في فنّي المأساة والملهاة. ويعتقد صاحب **المنهاج** أنّ الشعر العربي يفضل اليوناني في غرض الوصف وفي وجوه كثيرة من الصناعة. ومن أجل ذلك يرى عمل أرسطو في كتاب **فنّ الشعر** منقوصا فيقول: «ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب، من كثرة الحكم والأمثال والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى وتبحّرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها وفي إحكام مبانيها واقتراناتها ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتها وحسن مآخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيّلة كيف شاؤوا، لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية». ومن جهة أخرى يظهر حازم مثل ابن سينا أسَفَه من أجل عدم وقوفه على جانب كبير من كتاب المعلّم الأول. وقد أخذ على نفسه أن يحقّق أمل ابن سينا (321)، وذلك بمحاولة تحرير كتاب في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر بحسب عادة أهل زمانه. ويتبيّن لنا هذا من قوله: «وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنّه من جملة ما أشار إليه أبو علي ابن سينا (322)». فالشعر عند حازم لا يتحقّق بمثل ما تحقّق به عند قدامة من تآلف واتفاق كاملين بين اللفظ والمعنى والوزن والقافية (323)، بل لا بد فيه ليكون خليقا بهذه التسمية أن يثير إغرابا ويحدث تعجيبا عند السامع (324). ومن ينظر في تعريف حازم للشعر وبحثه في مقوّماته الأصليّة يلمس كبير تأثّره بآراء أرسطو، فحازم من غير شك قد استفاد كثيرا من مطالعته لكتاب **فنّ الشعر** للمعلّم الأوّل، وتكوّنت له بسبب ذلك فكرة في فنّ النظم، فأخذ يبحث في قوانينه وأصول صناعته. وممّا يدلّ على انفعاله هذا بالطريقة الهيلينية في نقد الشعر، استشهاده المتكرّر في هذا المنهج بنصوص

(321) **المنهاج**، 69 س 13.
(322) **المنهاج**، 70 ف، 15.
(323) قدامة، (2)، 2 س 11 ـ 12.
(324) **المنهاج**، 71، ب، س 13 ـ 17.

من كلام أرسطو في **فنّ الشعر** ، اعتمد فيها مرّتين تلخيص الفارابي(325) ، وأربعة عشر مرة ترجمة ابن سينا في **الشفاء** (326) . وفي هذا تبدو ابتكارات حازم وأصالته التي نوّه بها في المنهج الثاني كما قدّمنا (327) ، وعن هذه الطريق تنعقد الصلة بين النقد العربي والنقد اليوناني للشعر . فصاحب **المنهاج** يساير أرسطو في دراسة محرّكات الشعر والدوافع إليه ، وفي ضبط موضوعه وبحث أشكاله . وهو يأخذ من أوصاف المعلّم الأول لشعر المأساة والملهاة ، ما يتّفق معها عند العرب في شعر المديح والهجاء . وبفضل هذه المشاكلة في الطريقة استطاع حازم أن يقيم الفروق بين الشعر والخطابة وغيرهما من الفنون الأدبيّة ، وبذلك أيضا استطاع أن ينزع عن موضوع النظم ما لا يتّصل بطبعه ولا يتجانس معه . فبحث أغراض الشعر وقسّمها إلى حاصلة واقعة ومختلقة كاذبة ، ثم فصّل كلّ واحد من الجنسين إلى ما يتفرّع إليه من صور اقتصادية وتقصيرية وإفراطية ، وميّز منها الواجب عن الممكن والمستحيل عن الامتناعي ، وبيّن صور التقابل في إيقاع المعاني ، وتحدّث عن المحاكاة وطرقها وما يلابسها من أوصاف الحسن والقبح حتّى تكون به وبحسب ما يقصد إليه الشاعر منها محاكاة تحسينية أو تقبيحية . وبهذا الوجه ، من الدقّة في بحث موضوعات الشعر وأغراضه وصوره وأحواله ، عمد حازم لحماية هذه الصناعة والذود عنها ، رادّا على من يدّعي اقتصار الشعر على الكذب واتّسامه به ، منبّها على شرفه ومدى تقدير السابقين له ، مستشهدا على ذلك بكلام ابن سينا عنهم ، في كونهم ينزّلون الشاعر منزلة النبي فينقادون لحكمه ويصدّقون بكهانته .

---

(325) **المنهـاج** ، 86 س 8 وما بعده ، 123 س 10 ــ 12 .

(326) مثلما تدل عليه نصوص **المنهـاج** نجد احالات حازم في القسم الثاني على كلام ابن سينا راجعة الى **فن الشعر** ، **والمنطق** ، **والخطابة** ، من كتاب **الشفاء** . ومذه الاحالات واردة في **المنهـاج** ، 69 س 1 ــ 3 ، 11 ــ 14 ، 74 س 16 ــ 20 ، 78 س 3 ــ 6 ، 7 ــ 9 ، 9 83 س 17 وما بعده ، 84 س 4 ــ 7 ، 8 ــ 12 . 116 س 3 وما بعده ، 117 س 3 . 4 . 6 ــ 15 ، 16 ــ 18 . 122 س 6 ، 7 . 124 س 16 ــ 17 .

(327) انظـر اعـلاه 97 .

يتناول حازم كلّ هذه النواحي بأسلوب حكمي فلسفي دقيق . ويستعمل لذلك كثيرا من ألفاظ واصطلاحات الفلاسفة وبخاصّة المناطقة ، حتى إذا همّ بالرجوع إلى منهج النقّاد العرب ، اتخذ لذلك الأمر لبوسه وجاراهم في استخدام المصطلحات البلاغيّة . وفي هذا المقام ينوّه عظيم التنويه بأبي الطيب المتنبي الذي يبزّ الشعراء في نظمه بفضل معرفته.الواسعة بالبلاغة وطـول تجربته الشعرية ، وينتقل من ذلك إلى الاشتغال بعديد من الأشكال الفنيّة . يطلق عليها صور المحاكيات التشبيهية والتخييلية (328) . وهو في عـرض ملاحظاته النقديّة وآرائه البلاغية لا يعتمد أبدا أنظار المتكلّمين الذين بسبب اشتغالهم بمشكلة الإعجاز في القرآن يظنّون أنّهم يقدرون على القول في هذا الفن . فيضعّف مذاهبهم ويصرف الدارسين عنها . وفي آخر هـذا المنهج يلجأ حازم إلى علم البيان . وعلى نحو ما فعل أرسطو في كتابه ينبّـه على عظيم أهميّة الاستعارة وكبير دور المحاكاة التشبيهية في فنّ الشعر(329).

وفي المنهج الرابع المتألّف من ثلاثة عشر فصلا : يشرح حازم أصول النظريات البلاغية وطرق تطبيق القواعد الراجعة إليها في صوغ الكلام على نحو ما تقتضيه وجوه تأدية المعاني . وهنا ، بوصفه الممثّل الأمين لمنهـج البلاغيين في تقييم فنّ الشعر، لا يتخلّف عن التذكير بأصول الصنـاعـة الشعرية وبالنظريات المتّخذه أساسا للنقد لدى السابقين . فهو يستجيد طريقة النظم لدى الشعراء العرب القدامى ويتولّى الدفاع عنها . ويعدّ علماء البلاغة وحدهم قادرين على إدراك خصائص مختلف التراكيب واكتشاف أسرار ألوان الصيغ التعبيريّة . ومن أجل ذلك نجده يحيل على مؤلّفاتهم وتصانيفهم للتعريف بأذواق ودقائق الصناعة الشعرية . فيلفت أحيانا الأنظار إلى آراء الجاحظ (330) والآمدي (331) ، ويتعرّض بكثرة إلى مقالات قدامة(332)

(328) **المنهـاج** ، 111 ـ 115 .

(329) **المنهـاج** ، 116 ـ 129 . ق . ارسطو (2) نهاية 65 .

(330) راجـع فهـرس الاعـلام.

(331) راجـع فهـرس الاعـلام.

(332) راجـع فهـرس الاعـلام.

والخفاجي (333) . وعلى أساس ما يبسطه من نظريات وقواعد يعمد في نهاية بحث المعاني إلى ترتيبها بحسب الوصف والأهميّة . وفي آخر هذا المنهج الرابع الذي بسط فيه حازم القول عن وضوح المعاني وارتباطها ببعضها وحسن تساوقها واختيارها وطرق استعمالها وما يعرض فيها من مبالغة وغلو . يتولّى صاحب **المنهاج** التفرقة بين المعاني القديمة المتداولة والجديدة المخترعة .

والقسم الثالث من **المنهاج** موضوعه المباني والأعاريض الشعرية . وهو يتألّف من أربعة مناهج أوأبواب يبحث فيها المؤلّف الأوزان وما تخضع له من قوانين وأحكام بلاغية ترتبط باللفظ والتركيب والبحر والقافية وسائر ما يتقوّم به فنّ النظم .

في المنهج الأول المتفرّع إلى خمسة فصول : يشرح حازم ما يعنيه بالطبع والملكة الشعريّة . ويردّ ذلك إلى الفطرة أو الموهبة . فالطبع لديه استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أن ينحى به نحوها . وذلك يتحقّق لدى الشعراء بقوى فكرية واهتداءات خاطرية تتفاوت فيما بينهم . وعلى أساس هذا التفاوت يكون لهم السبق والتقدّم . وللتبصير بالملكة الشعرية يستعرض المؤلّف ما يقوّمها من قوى واستعدادات شارحا ومفصّلا (334) . وينتهي به ذلك التحليل والبيان إلى ملاحظات نقديّة ناتجة عن وجوه تُحقّق تلك القوى لدى الشعراء . وهو من أجل ذلك يوزّع هؤلاء إلى ثلاثة أقسام متباينة : شعراء على الحقيقة، وغير شعراء على الحقيقة ، وطائفة متوسّطة بينهما (335) . ولا ينسى بهذه المناسبة الإشادة بخصائص جماعة من أعلام الشعر كابن الرومي (336) والبحتري وابن المعتزّ والمتنبي وابن الدرّاج وابي تمّام ، كلّ في اللون الذي

---

(333) راجع فهرس الاعلام.
(334) انظر **المنهاج** ، 199 ـ 201 .
(335) انظر **المنهاج** ، 201 ـ 202 .
(336) انظر **المنهاج** ، 218 س . 10 ـ 11 .

برع فيه ، والوجه الذي اختصّ به (337) . ثمّ يتخلّص من ذلك إلى توجيه الناشئين من الشعراء ببيان الكيفيات التي تتناول بها الأغراض الشعرية من جميع جهاتها ، وينهج إلى الطرق المتوخّاة لاختيار الألفاظ والتراكيب مع الإشارة إلى مختلف الأغراض وما يناسبها من أوزان هي أولى بأن تجرى فيها وتبنى عليها . ويختم هذا الباب بالتفرقة بين الأشعار المرتجلة والأشعار المروّاة .

وفي المنهج الثاني المتألّف من سبعة فصول : يولي حازم كلّ عنايته قوانين الشعر من أوزان وأعاريض وقواف . ويتناول بغاية الدقّة تحليل مقوّمات الوزن . فبيت الشعر عنده يتألّف ضرورة من أجزاء تساعية أو سباعية أو خماسية (338) . والأوزان العربية في الشعر بسيطة أو مركّبة ، بحسب نوع الأجزاء التي تنتظم منها .

والوزن البسيط هو ما كانت كلّ أجزائه خماسية كالمتقارب ، أو سباعية كالرجز والكامل والوافر والرمل والهزج ، أو تساعية كالخفيف . هذا ومن الملاحظ أنّ الأجزاء في الأوزان المذكورة أعلاه ثابتة لا تتغيّر ، لكنّها في السريع والخفيف ، وإن تماثلت في العدّ ، مختلفة في التركيب بدليل أنّها في الأول متباينة بين مستفعلن ومفعولات وفي الثاني بين فاعلاتن ومستفعلن (339) .

والوزن المركّب هو ما اختلفت أجزاؤه من جهة العدّ بأن كان بعضها متألّفا من خمسة أحرف والبعض الآخر من سبعة كالطويل والبسيط والمديد والمقتضب ، أو كان بعضها سباعيا والبعض الآخر تساعيا كالدبيتي (340) ، أو كانت أجزاؤه مختلفة بين خماسية وسباعية وتساعية كالمنسرح (341) .

---

(337) انظر **المنهاج** ، 219 ـ 220 ف . 9 .
(338) انظر **المنهاج** ، 226 س . 8 ـ 17 .
(339) انظر **المنهاج** ، 235 ف . 7 .
(340) يلاحظ هنا ان حازما يعتد بهذا الوزن المستحدث اعتداده بالاوزان العربية فيدخله في زمرتها ويبني عليه نظره التحليلي .
(341) انظر **المنهاج** ، 233 ـ 235 ف . 6 . 242 ف . 13 .

ويظهر في تحليل حازم للوزن أخذه بطريقة أرسطو . فالجزء عنده يتألّف من أرجل . والأرجل هـي المقاطع الصوتية ، لها عنده نفس المعنى المصطلح عليه لدى اليونان . وهـي في العربية على ستة أضرب :

1 — سبب خفيف مثل قدْ — فِـي .
2 — سبب ثقيل مثل لَكَ — بِهِ .
3 — سبب متوالٍ مثل قالْ — جالْ .
4 — وتـد مجموع مثل لقَدْ — بلاَ .
5 — وتـد مفروق مثل مِنْهُ — بَاعَ .
6 — وتـد متضاعف مثل مَقالْ — مَجَالْ (342) .

فمن هذا التفصيل يتّضح معنى الرجل ، وبه يتمّ تعريف أرسطو له . فلا خلط بعد ذلك في مدلوله والغرض المعتدّ به منه (343) .

ويتّضح من جهة أخرى ، أنّ حازما لا يرتكز في تحليله لبحور الشعـر العربي ارتـكازا مطلقا على أصول المذهب الخليلي . فهو يرى تمايز الدوائر واستقلالها عن بعضها . فالسريـع مثلا لا يمكـن بحال تفريعه عن دائرة المنسرح أو ردّه إليها (344) . ومن ثمّ نجده منبّها على خصائص الأوزان ، مقارنا ومقابلا بينها ، مبديا في ذلك آراء عجيبة مفردة لها أهمّيتها في درس بحور الشعر العربـي . وهو لا ينـكر المولّد والمستحدث منها ، بل يبـدي

(342) انظـر **المنهـاج** ، 235 ف ، 7 .

(343) ذكر ابن سينا في كتاب **فن الشعر** الذي نقله عن المعلم الاول ارسطو : « ان الشعر من جملة ما يخيل ويحاكي باشياء ثلاثة باللحن وبالكلام وبالوزن . » ثم تحدث عن تركيب الاوزان . فقال عن الاشعار « انها قد وزنت اما بوزن ايلاجيا الثالث المـؤلف من اربعة عشر رجلا ، واما بوزن التروكي الرباعي المـؤلف من ستة عشر رجـلا . » ثم عرض للشعر المسمى ديثورمبي ، فقال : « انه كان يؤلف من اربعة وعشرين رجـلا . وهي المقاطع » . راجع ارسطو . (I) ، 168 ـ 169 . وعلى هذا فان تفسير كلمة رجل بالمقطع ليس واضحـا ولا دقيقـا . ويكـون استعمال اللفظ لـدى ارسطو وعنـد العروضيين الفرنسيين متولدا عن النظريات اليونانية . مرادا بـه مجموعة مقاطع . راجع في هـذا لينتري ، ٣ ، 112 ، الاستعمال 26 لكلمة رجل .

(344) انظـر **المنهـاج** ، 235 ف ، 7 .

إعجابه به ، وبنوّه بفضله . ألا ترى إلى قوله : « فأمّا المتركّب من سباعي وتساعي فهو من وضع المتأخّرين من شعراء المشرق ، جعلوا الجزء المفرد فيه تساعيا والمتشافعين سباعيين ؛ فقدّموا التساعي وتلوه بما يناسبه من السباعيات . وجعلوا الجزء الثاني من السباعيين في أكثر استعمال — وهو المستطاب في الذوق والأحسن في الوضع — ينقص عن الأول ليكون كلّ واحد من الأجزاء أخفّ ممّا قبله ، وتحرّوا في ذلك أن يكون كل جزء مناسبا لما قبله . وذلك هو الوزن الذي يسمّونه الدبيتي » (345) .

ويستمرّ حازم في دراسته التحليلية للأوزان ، مستعرضا لها ، مجموعة إثر مجموعة ، ووزنا بعد وزن ، فيمكّنه ذلك من إيراد ملاحظاته وآرائه الخاصّة ، ويعينه على كشف مذهبه الذي يخالف به المتقدّمين عليه . وهو بعد طول نظره واستيعابه جوانب البحث في البحور ينتهي إلى « أنّ الأوزان التي ثبت وضعها عن العرب أربعة عشر وزنا : وهي الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل والرجز والرمل والهزج والمنسرح والخفيف والسريع والمتقارب والمقتضب والمجتثّ » . ويلاحظ من جهة ثانية قلّة استعمالهم للمقتضب والمجتثّ ، ويشكّ في وضع العرب للخبب ، ويسكت عن المتدارك ، وينكر إطلاقا ويردّ المضارع الذي يراه مختلقا عن العرب ، وقياسا فاسدا مسيئا لأذواقهم أنتجه شعبة بن برسام (346) . وبالعكس من ذلك ، يقبل الدبيتي ، وإن لم يثبت للعرب أصلا . ويقول : « ولا بأس بالعمل عليه فإنّه مستطرف ووضعه متناسب » (347) .

هذا ولم يترك حازم في هذا الباب أيّ شيء يتعلّق بتركيب الأبيات من أعاريض وأجزاء إلاّ عرض له . فبحث مقوّمات الوزن كلّها في فصل خصّه بها . وتحدّث عن الأسباب والأوتاد والدوائر والعمود ومقصّرات

---

(345) انظر **المنهاج** ، 241 ، ف . 12 .

(346) هذه الشخصية لم نتوصل لمعرفتها . وقد راجعنا كثيرا من المصادر فلم تظفر بشيء عنها لا في البيان للجاحظ ولا عند ابن قتيبة او ابن عبد ربه ، ولا في **شرح الحماسة** للمرزوقي .

(347) انظر **المنهاج** ، 243 ف . 14 .

الأوزان والأقطار (348) . وربّما تميّز عن سائر العروضيين بألفاظ اصطلاحية خاصّة، مثل الركن الذي هو لديه عبارة عن الساكن الفاصل بين المتحرّكات في القافية وفي غيرها من أجزاء البيت (349) . فهو يقدّر في عروض الكامل « متفاعلن » قطرين هما المقطع الثالث والخامس (350) . ويتبع هذا ببعض البيانات من غير تفصيل أو شرح للدقائق العروضية . وإنّما حمله على هذا السلوك عدم الاحتياج الأكيد هنا للتبسيط ، واكتفاؤه بالإحالة على مؤلّف آخر له في هذا الفنّ ، يدلّ على ذلك قوله : « ولاستقصاء الكلام في صناعة العروض طول لا يحتمله هذا الموضع ، قد فرغت منه في موضع خاص بصناعة العروض . فمن هنا يعرف تفصيل هذا المجمل » (351) . ومن هذا الوصف الذي نلاحظه في طريقة حازم يبدو تحليله للأوزان في **منهاجه** تحليلا نظريّا غامضا يدلّ بوضوح على أسلوبه الفلسفي الخاص .

وإلى جانب ما تمتاز به هذه الدراسة ، لقوانين الشعر وأحكامه من الأصالة، نجد حازما يعنى غير مرّة بضبط مقادير تناسب الأوزان وما يحصل فيها من التغاير أو يمتنع من ذلك ، فيفرد للكلام عن هذا الغرض فصلا خاصا ، ويقسّم تبعا لذلك أوزان الشعر إلى مجاميع : منها ما هو متناسب تامّ التناسب متركب التناسب متقابله متضاعفه ، وذلك : كالطويل والبسيط (352) . ومن هذه المجاميع ما هو بالنظر إلى وزنه سبط ، ومنها ما هو جعد ، ومنها ما هو ليّن ، ومنها ما هو شديد . ومنها متوسّطات بين السباطة والجعودة ، وبين الشدّة واللين ، وهي أحسنها (353) . ولما يجوز أن يلحق الأوزان من تغييرات ناشئة عن زيادة أو نقص ، يتعرّض حازم إلى بحث جملة الزحافات والعلل

---

(348) الاقطار، ج. قطر ، وهو عبارة عن توالي ثلاث متحركات او اربعة متبوعة بمد او سكون. وتعرف الاقطار لدى العروضيين بالفاصلة الصغرى او الفاصلة الكبرى ومثالهما مَلَكَتْنَا ومَلِكُهُ راجع الخزرجي . نهاية 4 .

(349) راجع **المنهاج** ، 255 ف . 14.

(350) مثلـه .

(351) راجع **المنهاج** ، 259 س . 6 ـ 8 .

(352) راجع **المنهاج** ، 259 ، ف ج .

(353) راجع **المنهاج** ، 260 ، ف ج ، ف . I .

غير مفرّق بين هذين . فهو يحدثنا مثلا في هذا الفصل عن الخَرْم الذي يكون بتسكين أول متحرّكات الأوتاد عندما تأتي جزءا من فاصلة لم يتضاعف فيها تغيير ، كما يذكر لنا صوره الأخرى التي يتحقّق بها ، وذلك بحذف ثواني الأسباب الثقيلة وأوائل الأوتاد المجموعة في صدور الأبيات (354) . وبعد ذكر أمثلة كثيرة لألوان من الزحافات ينكر حازم على العروضيين ما راموا إثباته في متون الأوزان من الزيادة التي يسمّونها الخَزْم ، فيغلطهم ويردّ عليهم (355) . ويختم هذا الفصل بتقسيم أنواع الزحاف بالإشارة إلى المزدوج والبسيط والمقبول والمستقبح منها (356) .

ويلاحظ المؤلّف من جهة أخرى ائتساءً ببعض من سبقه أنّ الأوزان تتقسّمها الأغراض والمعاني بحسب ما يحصل من التجانس بينها وما تقتضيه طبيعة الإيحاء الشعري . لكنّ هذا لا يمنع حازما من ضبط رأيه في تقدير الأوزان وبيان سلّمها ، إذ يلاحظ أنّ للكلام الواقع في الأوزان أنماطا مختلفة بحسب اختلاف مجاريها ، وأنّ الأوزان ليست على سواء في جواز التصرّف فيها وظهور الافتنان بها ، لأنّ ذلك في بعضها أعمّ من بعض . فأعلاها درجة في هذا الطويل والبسيط ويتلوهما الوافر والكامل ، ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره . ويتلو الوافر والكامل عند بعض الناس الخفيف . أمّا المديد والرمل ففيهما لين وضعف والكلام في غيرهما أقوى . واطّراد القول في المنسرح لا يخلو من اضطراب وتقلقل وإن كان جزلا . أمّا السريع والرجز ففيهما كزازة . أمّا المتقارب فالكلام فيه حسن الاطراد لولا أنّه من الأعاريض الساذجة المتكرّرة الأجزاء . وللهزج حدّة زائدة مع ما فيه من سذاجة . أمّا المجتثّ والمقتضب فهما يجمعان بين الحلاوة والطيش . والمضارع قبيح مردود لا يجوز اعتماده (357) .

---

(354) راجع **المنهاج** ، 259 ـ 260 .

(355) راجع **المنهاج** ، 262 ـ 263 ف . 4 .

(356) راجع **المنهاج** ، 263 ف . 5 .

(357) راجع **المنهاج** ، 268 . ف . 4 .

وبإثر هذه المقارنة بين الأوزان وذكر خصائص كلّ واحد منها يعقد حازم فصلا يتحدّث فيه عمّا يجب اعتماده في وضع القوافي وتأصيلها . فيذكر لذلك أحوالا وشروطا تتكمّل بإبراز الأثر المطلوب من القافية في النظم . وهو يدلّ تبعا لذلك على طرق المعرفة بتأصيل القوافي ، وبناء ما قبلها عليها ، وبنائها على ما قبلها . فيحدّثنا عن مذاهب للشعراء في بناء أشعارها على أساس مراعاة مقاطع الأبيات أو أجزائها الأخيرة (358) ، حتّى إذا فرغ من هذا الموضوع الجليل عاد إلى المباني من حيث هي . فذكر التصريع ووجوهه ومذهب المتقدّمين فيه(359)، وأشار إلى ما يتأكّد الأخذ به من أحكام في المطالع والمقاطع على رأي من قال : هي أوائل البيوت وأواخرها من جهة ما تكون مؤثّرة على السمع ملائمة للنفس (360) .

وفي المنهج الثالث من هذا القسم : يعرض حازم ، في أربعة فصول ، الأحكام التي ينبغي اعتمادها في كلّ مرحلة من مراحل تأليف القصيد . وبهذه المناسبة يحدّثنا عن التسويم الذي يأخذ به الحذّاق من الشعراء . وهو اعتماد الأغراض الأصلية في رؤوس الفصول ووجوهها أعلاما على مقاصد النظم وإعلاما بمغزى الشاعر فيه . وقد ضرب المثل في ذلك بالمتنبّي وعمد إلى البرهنة عليه بتحليل قصيد له ، ليتبين الناس خصائص هذا اللون وعظيم أثره (361) ؛ ثم عقّب التسويم بالتحجيل ، وهو تذييل أواخر الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية . وقد جعل السبق فيه لزهير في آخر مهذّبته وفي آخر قصيدته اللاميّة التي ذكر له موضع الشاهد منها ، وجعل من أتباع هذا المذهب المولعين به في المولّدين أبا الطيب المتنبي الذي يقول بشأنه فإنّه : « ولع بهذا الفنّ من الصنعة وأخذ خاطره به حتّى برز في ذلك وجلّى،وصار كلامه في ذلك منتميا إلى الطراز الأعلى » (362) . وقد عقّب

(358) راجع **المنهاج** ، 278 ـ 282 .
(359) راجع **المنهاج** ، 282 ف . 1 .
(360) راجع **المنهاج** ، 286 ف . 8 .
(361) راجع **المنهاج** ، 298 ـ 300 ف . 4 ـ 8
(362) راجع **المنهاج** ، 301 ف . 3 .

حازم على جميع ذلك بالتنبيه إلى عدم الاستكثار من هذا اللون فرارا من قبح التكلّف وما يوجبه التزام هذا المذهب من الاستكراه والسآمة . وهو إذ يرفع من مقام المتقدّمين الذين يجعلهم المثل الكامل في هذه الصناعة لا ينكر حظّ المولّدين إنّ جروا على وفق ما تقتضيه الصناعة البلاغية ، ومن ثمّ نراه يعترف بمزاياهم ويذكر فضائلهم .

وفي المنهج الرابع المتألّف من خمسة فصول : يمضي حازم في بيان أحكام مباني القصائد وتحسين هيآتها ، وذكر ما تجب أو تتأكّد العناية بالتأنّق فيه . وهو بعد أن يبسط القول في ذلك بالنسبة للقصائد البسيطة الموضوع أو المركّبة يتحدّث عن مذهب الإبداع في الاستهلال ، موردا أمثلة من ذلك للقدامى والمولّدين من اختياره واختيار غيره ثمّ يشير إلى أنحاء التخلّصات في النظم ومذهب الإبداع فيها وفي الاستطراد ، ويختم حديثه عن هذا القسم المتعلّق بأحكام المباني بإيضاح الفوارق بين الشاعرين المقصّد والمقطّع .

والقسم الرابع والأخير من **المنهاج** يتناول بالبحث والدراسة الأسلوب . وقد جرى فيه المؤلّف على عادته من توزيع كلّ قسم إلى أربعة مناهج . وفي هذه الأبواب الأربعة الأخيرة التي هي نهاية التأليف : تعرّض حازم إلى الطرق الشعرية ومآخذ الشعراء في كلّ لون من ألوان النظم بحسب ما تقتضيه أحوال الكلام فيه .

وقد عمد في المنهج الأول المتألّف من أربعة فصول إلى تقسيم الشعر إلى نوعين متمايزين هما الجدّي والهزلي . فبحث خصائصهما وتعرّض لما يليق بكلّ واحد منهما من الأغراض والمباني . ونبّه إثر ذلك على جواز أخذ كلّ واحد من اللونين بشيء من ملابسات ومتعلّقات الآخر ، متى دعت لذلك ضرورة ، بشرط أن لا يخرجه مثل هذا التجوّز عن دائرته أو يفصله عن جنس ما أريد به . هذا وقد ركّز نظرياته في هذا الباب على أصول وقواعد فنية بلاغية ، ورجع في بعضها إلى الأخذ بمقالات الحكماء المتقدّمين أمثال سقراط الذي ينسب إليه قوله في المفاضلة بين لوني الشعر الجدّي والهزلي : « حكاية الهزل لذيذة سخيف أهلها ، وحكاية الجدّ مكروهة ، وحكاية الممزوج

منهما معتدل . ولا يقبل شاعر يحكي كلّ جنس ، بل نطرده وندفع ملاحته وطيبه ، ونقبل على شاعرنا الذي يسلك مسلك الجدّ فقط » (363) .

وفي المنهج الثاني من القسم الرابع المتركّب من خمسة فصول : يتعمّق حازم دراسة ألوان الشعر بتنويعه إلى مختلف أغراضه وموضوعاته ، ويعالج في الفصلين الأوّلين ضروب الإمداد الشعري بالإشارة مرّة إلى واقع الشاعر وتجاربه الشخصيّة ، ومرّة أخرى بلفت النظر إلى القوّة المخيّلة . وعلى هـذا الأساس من التمييز بين الإمـدادات المختلفـة وما تحقّقـه أنواع الملكـات والقوى الإيحائية والتأليفية يشيد المؤلّف بشعراء العربيّة منوّها بالخصوص بجماعة من بينهم نبغوا في هذه الصناعة وبلغوا منازل السمو والإبداع فيها . وقد ضرب المثل في سهولة الأخذ بـكلّ منحى من مناحي الشعر وعجيب التصرّف في جهاته برجال انفـردوا بالإبـداع في كلّ غـرض عالجـوه من أغـراض النظـم أمثـال الشريـف الرضي ومهيـار الديلمي وابن خفـاجـة الأندلسي (364) . وفي الفصول الثلاثـة الباقية يتعرّض إلى جملة من الأغراض الشعرية كالمدح والرثـاء والنسيب والفخر والتهانـي والاستعطاف والهجاء منبّها إلى ما ينبغـي أن يخصّ به كلّ لون من أوجه التصرّف حتى يبلغ به صاحبه الغاية ويتحقّق له الإبداع المنشود (365) .

وفي المنهج الثالث المتألّف من فصول أصلية ثلاثة ومن فصل إضافي بلاغي : يبحث المؤلّف الأساليب الشعرية بأنواعها ، مشيرا إلى خصائصها ، متحدّثا عن وجوه استعمالها بحسب الأغراض المختصّة بها والمنسجمة معها . وهو من أجل ذلك يحثّ على التزام الطريقة المتخيّرة والخضوع لما تقتضيه من أحكام . ولما يلمسه في المتنبّي من جري على أوضح الأساليب وأوفقهـا ينوّه بشأنه هنا من جديد ويحيل عليه (366) .

(363) راجع **المنهـاج** ، 330 س . 15 ـ 18 .
(364) راجع **المنهـاج** ، 343 ف . 7 .
(365) راجع **المنهـاج** ، 346 ـ 349 .
(366) راجع **المنهـاج** 358 ف . 4 .

جمعهم زمـان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيّهم أسبق إلى ذلك . وكلّهم قد أصاب الذي أراد وأحسن ، فـإن أحد فضلهم ، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر ، فـإنّه كان أصحّهم بادرة وأجودهم نـادرة » (375) .

هذا والملاحظ أنّ حازما لا يفضّل الشاعر لتقدّمه كما لا يؤخّره لتأخّر زمانه ، إذ القدامى المعدودون المستحسنة أشعارهم كانوا هم أيضا مسبوقين بشعراء دونهم في المقدرة والرتبة . وهو يرى أنّ تحرّي الحقيقة في الحكم بين شعراء الأعصار والأمصار ممّا لا يتوصّل إلى محض اليقين فيه ، وكلّ ما يقع من ذلك فهو على سبيل التقريب (376) . وبعكس ذلك المفاضلة بين شعراء ممتازين توفّرت لهم القوى والبواعث على النظم وشعراء لم يتوفّر لهم شيء من ذلك، فإن هذا سهل ميسور ، ألا ترى إلى إمكان تفضيل شعراء العراق على مصر بدون توقّف ، إذ لا مناسبة بين الفريقين في الإحسان في النظم وإن تغيّر حال العراقيين عن الذي كانوا عليه في الزمان المتقدّم (377) .

وبالحديث عن المفاضلة بين الشعراء وعن أحكامها ينهـي حازم كتابه في نقد الشعر ، وقد سلك في كلّ ذلك طريقة منطقية ، إذ بدأ حديثه عن الشعر ببحث المعاني وتحليلها ودرس طرق التصوّر لها وكيفيات إحضارهـا في الذهـن منتظمة ، لينتهي من ذلك إلى نقد الشعراء وتقدير آثارهم . وهو في الفصل الأخير من كتابه **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** يعلن عن خطّته في مؤلّفه ويصوّرها لنا بقوله : « قد تكلّمنا عن هذه الصناعة (الصناعة الشعرية) في جملة مقنعة وبقيت أشياء لا يمكن تتبّعها لكثرة تشعّبها وتعذّر استقصائها » (378) .

ومن هنا يعود حازم في بقية الفصـل الـذي يختم به دراسته للشعـر إلى استعمال ألوان من الصياغة الحكمية الفلسفية العريقة في الصناعة المنطقية .

(375) راجع **المنهـاج** ، 376 – 377 ف ، 7 .
(376) راجع **المنهـاج** ، 376 ف ، 6 .
(377) راجع **المنهـاج** ، 379 ف ، 9 .
(378) راجع **المنهـاج** ، 379 ، د .

المميزات الأصلية لكتاب المنهاج

المنهاج كتاب بلاغة ونقد ، تذكّر موضوعاته المختلفة المتنوّعة بمصنّفات الرمّاني 994/384 والخطابي 998/388 والجرجاني 1081/474 — 1082 ، كما يكمل صنيع كثير من النقّاد أمثال قدامة 958/337 والآمدي 981/371 والخفاجي 1073/466 . وهو بالإضافة إلى ذلك يتميّز بخصائص تفارق بينه وبين عامّة المصنّفات من نوعه من جهتي الشكل والمادة .

وقد ساعدنا التحليل الذي قدّمناه لكتاب **المنهاج** على ضبط بعض المميّزات الراجعة فيه إلى طريقة العرض وإلى لغة وأسلوب حازم . فكلّ من يطالع هذا المؤلّف ينتبه من أول قراءته إلى الطريقة الترتيبية التي جرى عليها القرطاجنّي فيه . فالأقسام الأربعة التي تؤلّف الكتاب أو الثلاثة الباقية منها تتّفق جميعها في عدد الأبواب أو المناهج المتضمّنة لعديد من الفصول . والنظريات أو القواعد البلاغية تأتي في الغالب في ختام الأبواب ونهاياتها بعنوان مآمّ . وهو بهذا يفرّق بين الفصول البلاغية وغيرها . وبدل أن يسمّي بقيّة الفصول كعامّة المؤلّفين مقصدا أو مطلبا ، يطلق عليها لفظ معلم أو معرف ، جاعلا من تلك التسميات المتنوّعة اصطلاحا خاصا به . أمّا الفقر الكثيرة التي يتركّب منها الفصل فهو لا يرقمها تسهيلا على القارىء ، إذ لم تكن تلك الطريقة شائعة أو معروفة في ذلك العصر ولكنّه ، أمام شعوره بضرورة التمييز بينها ، يعنون لها على التناوب بلفظي إضاءة وتنوير (379) . ولعلّ هذه التسمية الأخيرة الغريبة لدى المؤلّفين العرب تذكّر بالعنوان الذي أطلق على شرحي **سقط** الزند **والفصول والغايات** للمعرّي . وما من شك في أنّ طريقة العرض هذه تدلّ على المنهج المنطقي الذي تميّز به حازم ، لكنّه

(379) لقد وقعت الإشارة أعلاه إلى هذه التفصيلات المتعلقة بأسلوب العرض انظر 95 .

إلى جانب ذلك كان عارفا واسع الثقـافة ، تنطق بذلك الشواهد المتنوّعة التي يطرّز بها مصنّفه . فهو يستدلّ أحيانا بالاستعمالات القرآنية التي يحيل عليها ، وأحيانا كثيرة أخرى يورد أبيات الشعراء السابقين القدامى أو أبيات أصحاب المعاني . وأكثر ما يحفل منها بأشعار المتنبّي . وهو يختار في الغالب شواهده من شعر امرىء القيس وزهير والنابغة بالنسبة للعصر الجاهلي ، ويستشهد بأبيات جرير والفرزدق من العصر الأموي ، ويورد ممّن يأتي بعدهم في العصر العباسي شواهد من نظم أبي نواس وأبي تمّـام والبحتري وابن الرومي ؛ ودون ذلك استشهاده بشعر المشارقة والمغاربة أمثال أعشى ميمون وابن أبي خازم وابن المعتزّ وابن درّاج وابن خفاجة . هذا وقد بقي لنا في **المنهاج** أكثر من ثلاثين بيتا لم ينسبها حازم ولم نتوصّل بدورنا لمعرفة أصحابها ، إذ غالبها غير موجود في ما وقفنا عليه من كتب الأدب والنقد والبلاغة ، ولذلك دعونا تلك الأبيات بالفرائد . أمّا أقوال الرسول صلى الله عليه و سلم فإنّ حازما لم يذكر إلاّ حديثا واحدا منها . وهو لم يستشهد قط بشيء من أقوال الكتّاب كابن المقفّع وابن قتيبة ، وهذا طبيعي إذا اعتبرنا كتاب **المنهاج** أوّلا وبالذات كتاب نقد شعر .

وبالرغم عن الطريقة الترتيبيّة التي أدخلها حازم على مصنّفه ، فجعله أقساما ومناهج ومعالم ومعارف ومآم وإضاءات وتنويرات ، نلمس في هـذا الكتاب جوانب من التعقيد تقوم في وجه مطالعه . فلغة حازم مستصعبة لا يمكن لمن يجهل الاصطلاحات المنطقية النفوذ إلى ما وراءها ، كما لا يتسنّى لمن لم يألف الاستعمالات الحكميّة أن يدرك غرضه منها بسهولة . فطالما ركن القرطاجنّي مثل ابن سينا إلى استعمال ألفاظ فلسفية كالجوهر والعرض واللازم ونحوها . وهو مع ذلك يأتي بكلمات غريبة قليلة الدوران مثل أطراب وإعتاب وصغوى . فإذا تناول بعض التحديدات أو التعاريف أعطى كلمة «طباق» معنى غير الذي سبقه إليه قدامة . واستعمل كلمتي ركن وقطر استعمالا خاصّا ، واتّخذ لنفسه مصطلحات جديدة أوضح معناها كالتسويم ، وربّما استمدّ من اليونانية بعض تلك الاصطلاحات. فهو أوّل من أدخل من نقّاد الشعر إلى صناعة العروض لفظ «رجل» ائتساء منه بصنيع ابن سينا في

ترجمته لكتاب **الشعر** للمعلّم الأوّل . ومهما تكن صعوبة **المنهاج** فإنّه استطاع في القرن 13/7 أن يكمل بوضوح سائر كتب النقد والبلاغة المعروفة في ذلك العصر .

وقد اطلع حازم على الكثير منها ، وان كان من العسير أن نضبط بغاية الدقّة ما وقف عليه من تلك المصادر ، لكنّنا نستطيع أن نقارب الضبط بتقسيم المؤلّفات التي اعتمدها ثلاثة أقسام :

أولها كتب البلاغيين أمثال الخفاجي الذي يشير إليه وينقل عنه . وليس من السهل هنا أن ندّعي أنّ حازما قرأ **أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز** للجرجاني أو كتاب **المفتاح** للسكاكي المتوفّى سنة 1228/626 .

ثانيها مؤلّفات النقّاد كتصنيف قدامة الذي ناقش بعض فصوله ، **وموازنة** الآمدي التي ذكرّ ببعض ما جاء فيها مع التعقيب على نظريات صاحبها .

وأخيرها مؤلّفات بحثت فنّي الشعر والنثر ككتاب **الصناعتين** للعسكري المتوفّى سنة 1004/395 — 1005 ، وكتاب **المثل السائر** لابن الأثير المتوفّى سنة 1209/606 — 1210 . وما من شك في كون حازم قد عرف معرفة دقيقة **عمدة** ابن رشيق المتوفّى سنة 1071/463 وإن لم يسمّها أو أغفل ذكر صاحبها . فقد كانت أفخم وأتمّ ما صنّف في علم الشعر لذلك العهد . ويدلّ على وقوف حازم على مجموع التآليف المذكورة في هذا القسم تناوله لموضوعاتها وإشاراته إلى مباحثها .

ولا يظنّ أحد أنّ كتاب **المنهاج** عبارة عن سرد أو جمع لما تفرّق في غيره من الكتب السابقة ، فإنّ حازما قد أعاد النظر في جميع قضايا النقد والبلاغة التي تعرّض إليها وبحثها واحدة واحدة . يبدو ذلك جليّا في مثل الفصول المتعلّقة بدراسة أوزان الشعر . فإنّ صاحب **المنهاج** ، كما أوضحنا قبل ، قد تناول فيها بصورة تحليلية بديعة مبتكرة مختلف الضروب والأعاريض النظميّة ، فأضفى على النظريّات الخليليّة جوانب من الجدّة ، وانتهى من تعمّقه الفلسفي لشؤون النظم والقافية إلى نظريات دقيقة شخصيّة .

ويستدعي أسلوب حازم في **المنهاج** انتباها خاصا . فهو مقتضب في عرض الأحكام والقواعد خال في الغالب من الشواهد . لاحظ ذلك ابن القويع وأشار إلى ما كانت توجبه تلك الطريقة من غموض (380) . هذا ويتميّز الكتاب إلى جانب ذلك بعدّة خصائص ناتجة عن طبيعة المؤلّف نفسه وعن صورة تفكيره . في أسلوبه اتّساق ، وفي طريقة الشرح والبيان لكثير من المعضلات ميل إلى التفصيل والتحليل (381) . لا تجد في المصنّف أثرا للتزويق أو التشويق كما في **عمدة** ابن رشيق ، بل هو ، كما اختار حازم ، علمي يرشح بالجدّ والبساطة ويعتمد في الأكثر الجمل القصيرة . فإذا طالت هذه انساقت بين أجزائها الجمل الاعتراضية على وجه بديع من الترابط والائتلاف التام في ما بينها (382) . وهي في تلك الصور متفاوتة مفرطة في الطول ومعتدلة (383) . غير أنّها أكثر وضوحا من غيرها وأوفى بيانا . نذكر منها على سبيل المثال قول حازم في الفصل الخامس من المنهج الثالث للقسم الرابع والأخير من الكتاب : « لمّا كانت الأغراض الشعريّة يوقع في واحد واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد ، وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد ومسائل منها تقتنى كجهة وصف المحبوب وجهة وصف الخيال وجهة وصف الطلول وجهة وصف يوم النوى وما جرى مجرى ذلك في غرض نسيب وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات والنقلة من بعضها إلى بعض وبكيفيّة الاطراد في المعاني صورة وهيئة تسمى الأسلوب وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ » (384) .

---

(380) يذكر ابو عبد الله ابن القويع تلميذ ابي الحسن التجاني ذلك فيقول عن كتاب **المنهاج** لحازم ، « ولما وقفت على قوانينه ووعيتها وان كان ترك التمثيل لها ، صار كل ما اقرؤه وانظر فيه من كلام بليغ او بديع يصير كله لي امثلة لتلك القوانين . » راجع ابن رشيد ، مخط ، 1737 ، و . 117 أ س 12 ــ 14 .

(381) راجع **المنهاج** ، 40 ــ 43 .

(382) من الملاحظ هنا ان اسلوب حازم اصيل وشخصي يذكر بنماذج من مقالات ابن سينا .

(383) راجع **المنهاج** ، 19 ــ 20 ، 40 ــ 42 ، 350 ــ 357 وغيرها .

(384) راجع **المنهاج** ، 363 س 7 ــ 13 .

منزلة المنهاج بين كتب النقد العربية

يعتبر الزركشي **المنهاج** لحازم ومقدّمة **التفسير** لابن النقيب (385) أجمع وأتمّ ما صنّف العلماء في علمي البيان والبديع (386) . وفي نظر آخرين يفوق **المنهاج** كلّ المؤلّفات السابقة في هذا الفنّ للطريقة الحكمية المنطقية الّتي أبداها حازم في معالجة مسائله وقضاياه . والقوانين والنظريات النقدية الّتي احتوى عليها **المنهاج** تقوم كلّها ــ كما سبق بيانه ــ على أصول من علمي البلاغة والمنطق . فهو بذلك يخالف ما تقدّم من مصنّفات جعلت عمادها في النقد مواقف القدامى من النحاة (387) ، ويدعو صريحا إلى المنهج النقدي البلاغي الذي أوضحه وبيّن أحكامه وخصائصه .

لقد استدرك على جملة التآليف النقدية والبلاغية التي تقدّمته ما فاتها بسبب الاختصار أو الاقتضاب . وهو في كامل القسم الثاني ــ عند بحث المعاني وطرق استحضارها منتظمة في الذهن ــ يكشف ، كما نبّه على ذلك بنفسه (388) ، عن آراء أصيلة ونظريات كثيرة شخصية في هذا الفنّ .

وإذا كان ابن الأثير قد ردّ بعنف آراء أرسطو التي عرض لشرحها ابن سينا في ترجمة **فنّ الشعر** من كتاب **الشفا** (389) ، أو حاول قدامة بغاية الحيطة

---

(385) هو شمس الدين محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي ، الفقيه اللغوي ، 611 ــ 1214/689 ــ 1298 . راجع الكتبي ، ٢ ، 438 .

(386) انظر م. 393 ف . 10 .

(387) راجع **المنهاج** ، 265 ف . 7 .

(388) انظر اعلاه 98 .

(389) يظهر هذا من الجملة الآتية : « ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا ، وانساق الكلام الى شيء ذكر لابي علي ابن سينا في الخطابة والشعر ، وذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني يسمى « اللاغوذيا » وقام فاحضر كتاب **الشفاء** لابي علي ، ووقفني على ما ذكره ، فلما وقفت عليه استجهلته ، فانه طول فيه وعرض كانه يخاطب بعض اليونان ، وكل ما ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا » راجع ابن الاثير ، ١ ، 311 .

في كتابه أن يستوحي بعض الشيء من كتابي **الخطابة والشعر** للمعلم الأول ، فإنّ صاحب **المنهاج** قد تأثّر عميق التأثّر بمؤلّفات ابن سينا . فأخذ بطريقته وأحال على تعاريفه وحدوده واستعمل كثيرا من ألفاظه وصيغه وذكر أحيانا نفس الأمثلة والشواهد التي ذكرها الشيخ الرئيس . ولقد اعتمد كتاب **فنّ الشعر** لابن سينا لنقل كثير من فقر كتاب **الشعر** لأرسطو . وكل إحالاته عليه كانت ليتأيّد بذلك فيما عرضه من نظريات وآراء . أو ليجعل من تلك النقول أساسا لأفكار يشرحها ويمعن في تحليلها والبناء عليها . وبقدر ما يبدو انفعال حازم وتأثّره بابن سينا عظيما فإنّ اعتماده على أبي نصر الفارابي وإحالته على ترجمته لكتاب **الشعر** لم تكن إلاّ مرتين يعرض فيهما رأيه ويناقشه . أمّا **الشرح الوسيط** لابن رشد فهو يغفل ذكره قصدا ولا يحيل عليه . ولا ندري أسباب ذلك على التحقيق . ولعلّه وجده غير أمين في ترجمته لكتاب **الشعر** لأرسطو أو كان مقصّرا لديه عن أن يضيف من ذلك شيئا إلى أصول النقد الشعري عند العرب ، فدعاه هذا إلى الاستدراك عليه ، وهو شيخ شيخه الشلوبين ، بوضع كتاب **المنهاج** الذي جمع بين المبادىء والأصول الهيلينية والعربية .

فمن خلال هذا العمل الجليل الأصيل . وبعد بحث موضوعات **المنهاج** بصفة تحليلية للكتاب تتناول أغراضه وأهدافه وخصائصه ومميّزاته ، تبدو لنا جهات شخصية حازم القرطاجنّي المتعدّدة . فهو ليس فقط بالشاعر الفحل الذي بزّ ابن دريد في **مقصورته** كما شهد بذلك الدكتور مهدي علام(390) ، ولكنّه في نظرنا عالم واسع الرواية ، له قدم راسخة في اللغة والنحو والبلاغة مع دراية عجيبة بالنظريات الهيلينية تدلّ عليها فصول كثيرة من كتاب **المنهاج** . هذا ويمكن أن نستخلص فعلا منها أنّه ألمّ بفلسفات سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس من خلال الترجمات العربية ، فهو بهذا الاعتبار رجل فرد في عصره ، تميّز من بين الأندلسيين المهاجرين بنظمه ، كما كان مرجعا بينهم في علوم اللغة والنحو والبلاغة والمنطق والشعر .

---

(390) راجع علام، 30 – 31.

فهـــــــرس

الصفحة

تقديم العلامة الاستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور................ 5

كلمـــــة 13

رمــوز وإشــارات.. 15

ثبـت المصـادر والمـراجـع..................................... 17

مـدخــــــل

تمهيـــــد.. 31

مصادر حيـاة حـازم..................................... 33

أ) أقـوال حازم عن نفسه..................................... 33

ب) المؤلفات المفقودة التي يحيل عليها او يذكرها السيوطي والمقري 33

ج) القسم الثالث من المعلومات : ما كتبه معاصرو حازم عنه.... 34

د) الترجمـات المحـررة بعد.................................. 39

حيــاة حــازم.. 45

الحالة السياسية والثقافية بالأندلس في أول القرن السابع/الثالث عشر... 45

أمّا المنهج الرابع من هذا القسم الأخير فهو يتألّف من أربعة فصول ، قصر حازم منها الفصلين الأوّلين على بيان مذاهب الشعراء ومآخذهم في نظمهم . فتحدّث عن ابن المعتزّ والبحتري (367) وذكر من جديد بهذه المناسبة مهيارا وابن خفاجة (368) .

وقد عرض مع ذلك شواهد ، تنبيها على خصائص بعض الشعراء وإشارة إلى ضروب من الاستعمال انفردت بها طائفة منهم أمثال المتنبّي وابن الضحّاك (369) وأبي تمّام (370) وابي سعيد المخزومي (371) .

وفي الفصل الثالث : يتعرّض حازم إلى قضيّة نقد الشعر . فيشير إلى صعوبة وظيفة الناقد متأيّدا في ذلك بأقوال معاصرَين له : سهل ابن مالك (372) وابن عُميرة المخزومي (373) .

ثمّ يبحث بالخصوص قضيّة المفاضلة بين الشعراء . تلك القضيّة المعضلة في رأيه ، لما في اختلاف الأزمنة وتفاوت الغايات وتباين المذاهب من عوائق تحول دون التوصّل إلى تحقيق تقديم أحد الشاعرين على الآخر . وهو يشترط على الأقلّ ، لإمكان المفاضلة ، بين الشاعرين ، اجتماعهما في الغرضْ والوزن والقافية (374) . ولتأييد رأيه والإلزام بما اشترطه من شروط في هذا الشأن يحيل على أبي الفرج الأصبهاني في الخبر الذي يرويه عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ، وقد اختصم الناس ذات ليلة من ليالي رمضان في أيّ شعراء العرب أحسن . فقال عليّ عليه السلام : « كلّ شعرائكم محسن ، ولو

(367) راجع **المنهاج** ، 365 .

(368) راجع **المنهاج** ، 366 ف . 2 .

(369) راجع **المنهاج** ، 367 ف . 5 .

(370) راجع **المنهاج** ، 371 ب .

(370) راجع **المنهاج** ، 371 ف . 1 .

(372) هو ابو الحسن سهل بن مالك الازدي الغرناطي ، الاديب المحدث . شيخ كثير من المهاجرين الاندلسيين الى افريقية . اخذ عنه القاضي ابو بكر بن حبيش . انظر ابن رشيد ، مخطـ ، 736 ، آخر و . 1 ب .

(373) انظر اعلاه 47 .

(374) راجع **المنهاج** ، 376 ف . 6 .

الصفحة

حـــازم وبيئتـــه 52

هجرة حازم إلى المغرب الأقصى.. 54

المغرب الأقصى في العهد الموحدي بين سنة 1236/633 وسنة 1242/648 55

خـروج حـازم إلى تـونس.. 59

الوضع السياسي والثقافي بإفريقيّة لعهد أبي زكرياء الأول وابنه المستنصر 60

مصنفــات حـــازم.. 73

أ) القسم الأدبي : الآثار الشعريّة.. 73

ب) القسم العلمي : الآثار النحويّة.. 87

ج) القسم العلمي : الآثار البلاغيّة والنقديّة.. 88

تحليـل منهـاج البلغـاء وسراج الأدباء.. 93

أ) عنوان الكتاب ونسبته.. 93

ب) الموضوعات المحتملة للقسم الأول من المنهاج.. 94

ج) منهج حازم في الأقسام الباقية من كتاب المنهاج.. 95

المميزات الأصليّة لكتاب المنهاج.. 113

منزلـة المنهـاج بين كتب النقـد العربية.. 117

فـهـــرس.. 119